الأول



مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٢٤

حافظ

الأول

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٤

للمؤلف

تاييس ... ... الزنبقة الحمراء	عن أناتول فرانس	
أفروديت القديمة ... ... أفروديت الجديدة	عن بيير لوِيس	[نفدت]
طرطوف ... ... عدو المجتمع	عن موليير	[بطلب وزارة المعارف]
فى الحياة والحب		
باريس		
ماقــل ودل		[أجزاء مسلسلة تصدر سنويا]
الصحافة المصرية منذ نشأتها الى اليوم الاصلاح فى مصر منذ ثورة ١٩١٩	بالفرنسية	[نفدت]
قبور فى جنة الحب ... ... ثقافة وصحافة	تحت الطبع	

تحت الطبع :

عروس الشرق	ماقل ودل
بالاشتراك مع الدكتور أحمد موسى	الثالث والرابع
مجلدان مصوران فى ١٠٠٠ صفحة	مجلدان مصوران فى ٥٠٠ صفحة
فى القطع الكبير	فى القطع الصغير

الاهـــداء

إلى أمى !

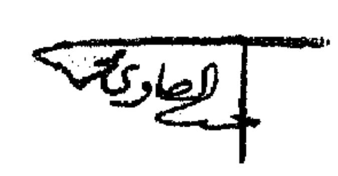
الى التى مات عنها أبى وهى فى سن العشرين ، وعمرى خمسة أشهر، فوقفت الى جانبى أربعة وثلاثين عاما تدفع عنى الجهل والألم بما وراءهما من ظلمات .

الى التى تحبنى لنفسى أكثر مما تحبنى لنفسها، يزداد حبها على الأيام فى الرضا والغضب، فى البعد والقرب، فى الصحة والمرض، فى اليأس والأمل، فى الفقر والغنى .

الى التى أحببت المرأة من أجلها ، لأنها علمتنى مدى ما تستطيعه المرأة الفاضلة من خير .

الى التى لو وقفت كل حياتى للدفاع عن المرأة لما استطعت الوفاء بذرة من جميلها .

إليك، أمّاه، أضع هذه الكلمات، تحت قدميك !



مقدمة

للأستاذ الجليل أنطون بك الجميِّل

رئيس تحرير « الاهرام »

ليس مؤلف هذه المجموعة، ولا مجموعته هذه، في حاجة الى التقديم .

أما المؤلف فقد اقتعد مكانه في عالم الكتابة بما أنتجته قريحته من التصانيف الطريفة .

وأما هذه المجموعة — وهي منتخبة مما يكتبه كل يوم في «الأهرام» بعنوان «ماقل ودل» — فقد عرفها القراء قبل أن تضمها دفتا هذا الكتاب .

لهذا كان المؤلِّف والمؤلَّف في غنى عن التقديم والتعريف .
ولكن الأستاذ الصاوي — على ما في كتابته من جرأة، وعلى ما في آرائه أحيانا من تطرف — رجل يغلب عليه الحياء .

وهذا دليـل على أن قول «بوفون» إن «الإنشاء هو الرجل»* ليس دائمـا بالقول الصحيح . فان «موليـير» مثلا - وهو الكاتب الروائى الهزلى الذى أضحكت رواياته الخالدة الأجيال المتعاقبـة، كان فى حياته الخاصة أشـد ما يكون الانسان حزنا وكآبة .

فلم يكن بد، والصاوى حيي خجول، من أن يتقدم أحد أصدقائه فيأخذ يده بيده، ويأخذ كتابه باليد الأخرى، ويقول للقـــراء :

«هذا هو الصاوى، وهذا كتابه !» .

طلب الىَّ فى كثير من التردد أن أقوم بهذه المهمة، عن حسن ظن بإخلاصى؛ فقبلتها أنا من غير تردد، عن حسن ظن بفائدة هذه المجموعة .

قد يكون غيرى أولى منى بتقديم سائر مؤلفات الصاوى؛ وقد أكون أولى من غيرى بتقديم هذه المجموعة، لأنى دارجت

* Le style c'est l'homme (Buffon)

كاتبها من أول عهده بكتابتها ، وتابعت هذه المقالات من بداية ظهورها .

لا أزال أذكر «أحمد الصاوى محمد أفندى» يوم كان موظفا صغيرا بمصلحة المناجم والمحاجر ، وهو شاب فى مقتبل العمر ، يجرّب خطواته الأولى فى ميدان الكتابة . أذكره ، وهو يحمل مقالته الى «الأهرام» ، محاولا أن يُطلع عليها أيا كان ، قبل أن يدفعها الى رياسة التحرير .

وقد شاءت الظروف أن أكون مرارا ذلك الذى يلقاه ليستأنس برأيه . فكنت أشجعه وأشدّد من عزيمته ، لأنى كنت أحس من خلال تلك السطور المعدودة نفسا تواقة الى الجهر بما تعتقد ، كما كنت ألمح فى عينى كاتبها بريقا منبعثا عن ميل الى النقد والتقريع ، وأتبين من وراء ابتسامته الساخرة جنوحا الى الاصلاح عن طريق الاستهزاء ، وإذ كنت أجد فى شكل تقديم تلك المقالات للنشر كثيرا من التواضع والحياء ، كنت أقرأ فى عنوانها «ما قل ودل» كثيرا من الفخر والجرأة .

ثم ، لم يكد يصلب عوده ويشتدّ ساعده ، حتى وقع له ،

وهو على ما وصفنا ، ما لم يكن بدّ من وقوعه : طاق منصبه في الحكومة ، والمنصب الحكومي أعز أماني شبابنا وأحلامها ، وانصرف عنه غير آسف عليه ، ولا وجل مما يخبئه له المستقبل ، لأنه كان بفطرته طموحا الى الحرية ، نزوعا الى « الحياة البوهيمية » . وما كاد يستقر له ما أراد من الانطلاق من قيود « الوظيفة » حتى قصد الى باريس لأول مرة رغبة منه في زيادة التعلم والتحصيل .

ذهب الى باريس ليأخذ منها ، فتم له ما أراد ، ولكنها أخذت منه أيضا ، فاستولت عليه كما تستولى على غيره ، وطبعته بطابعها الخاص ، حتى ان أمانته لها اليوم أشد من أمانته لنفسه . وإني لأذكر ما كان يكتبه لي من تلك العاصمة معربا عن شدة أمله بالتوفيق في مزاولة الصحافة وخدمة الأدب .

ولما عاد الى مصر ، وقد اتسعت دائرة معارفه وامتد أفق أفكاره ، انضم الى هيئة تحرير « الأهرام » وأخذ يدون ملحوظاته اليومية تحت عنوان ثابت ، حتى أصبح العنوان

يدل على الامضاء ، والامضاء يدل على العنوان ، كأن هـذا وذاك لفظان مترادفان .

وقد شاءت الظروف أيضا بعد ذلك أن أكون بمقتضى عملى فى « الأهرام » أول من يقرأ « ما قل ودل » ويقدمها للطبع . وهكذا أرانى أول القراء اطلاعا عليها ، وأعرف الناس بالشخص أو الحادث الذى أوحاها . وكثيرا ما أناقش كاتبها ويناقشنى مغزاها ومرماها . فسرعان ما يبدل ويحوّر ، لأنه غير متعنت فى ما يريده من الاصلاح ، بل هو يدافع عن رأيه عامدا الى الصلابة حينا ، والى الملاينة أحيانا ، لا يهمه القالب الذى يبرز فيه فكره ، ما دام قد أتيح له ابرازه . وقد يكون هـذا الرأى مخالفاً لما تواضع عليه الناس ، مناقضا لما جرى به العرف ، ولكنه لا يبالى مايقال ولا يعبأ بما يوجه اليه من نقد ، بل يقول كلمته ، تصريحاً أو تلويحاً ، ويمشى . وكثيرا ما يكتب المرة والمرتين فى موضوع لا يتفق وهوى الجمهور ، فتشتد الحملة عليه ، فيترك الموضوع أسابيع أو شهورا ، ثم يعود اليه حتى يغرزه فى رءوس القراء . وهكذا أصبح قراؤه يحتملون منه ما لا يحتملونه

من غيره، ونشأ بينه وبينهم اشتراك روحى هو أقصى ما يطمع فيه الكاتب .

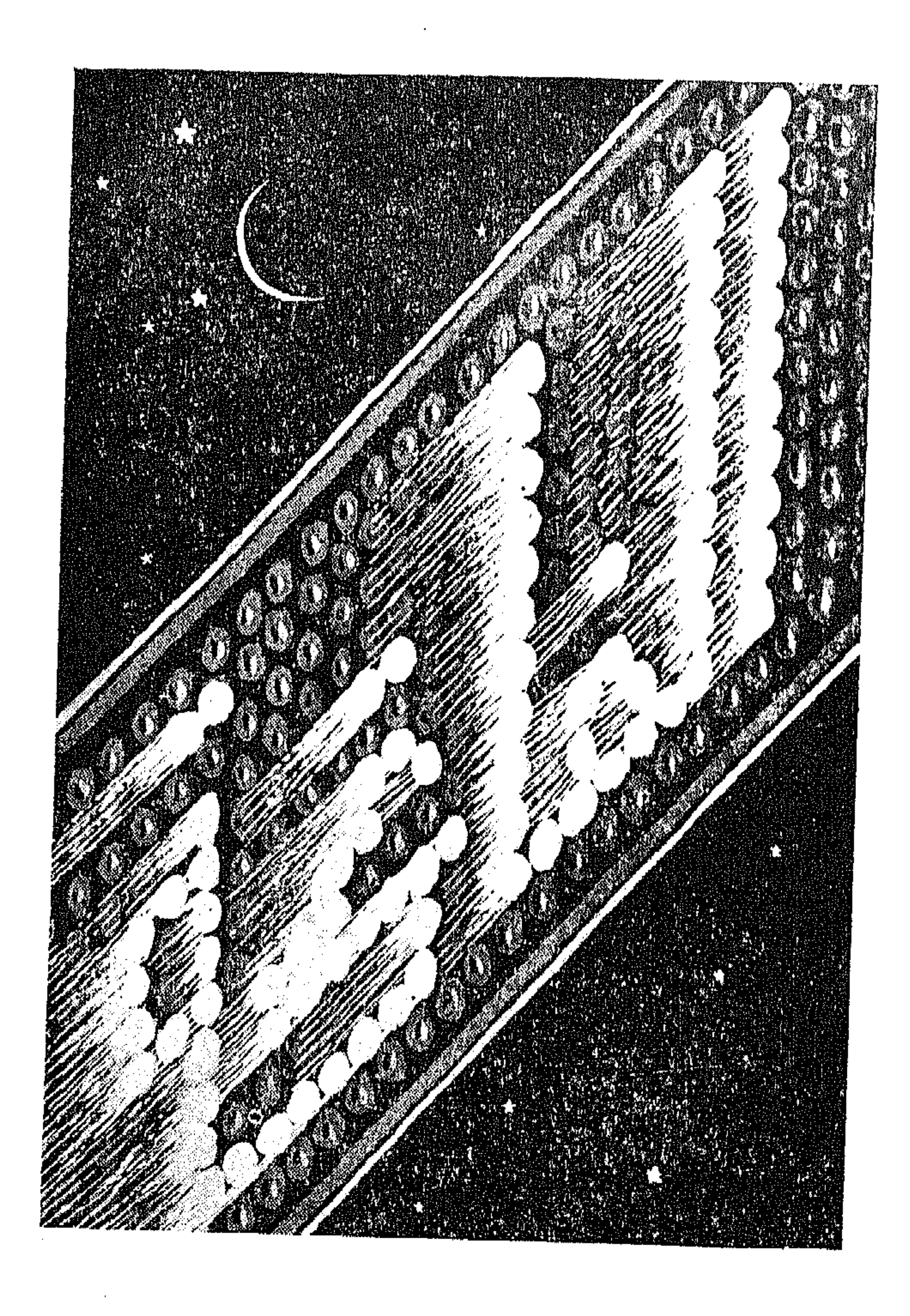
بعض مقالات « ما قل ودل » وليد الحوادث اليومية العابرة يذهب معها وينطوى بطيها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لا تضيع بهجتها ، ولا تبلى جدتها . فسألته تخير طائفة من هذا النوع الأخير وجمعها فى هذا الكتاب ، فكنت مسئولا عن تقديمها اليوم للقراء .

والآن أرى أنه لا يليق بكتاب عنوانه « ماقل ودل » أن تجاوز مقدمته حد ما كتبتُ ، بل كان من حق هذه المقدمة ، مراعاة للنظير ، أن تحصر فى بضعة سطور ، لا فى بضع صفحات . ولكنى أردت التغلب على حياء صديق الصاوى ، فتبسطت بعض التبسط فى تقديمه وتقديم كتابه للقراء .

فهذا هو الصاوى ، وهذا كتابه !

أنطون الجميل

القاهرة فى أول يوليه سنة ١٩٣٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . نشكره ، ونطمع فى المزيد من فضله و إحسانه ، ونسأله تعالى أن يوفقنا دائما الى الوفاء بعهدنا لقومنا ، إن العهد كان مسئولا .

أما بعد فقد أسلفنا الوعد فى كتاب « باريس » لأصدقائنا القراء بأن نخرج لهم كتابين أو ثلاثة فى العام تكون فيها للمشتركين مزايا السبق الى الفضل ، وقد لبوا نداءنا واستجابوا دعاءنا ، فأخرجنا لهم هذين الجزءين الأول والثانى من مجموعة « ماقل ودل » بعشرة قروش ، وجعلنا سعرهما بعد الطبع عشرين قرشا ، تفريقا ، كما قلنا فى « باريس » أيضا ، بين المشترك المساهم فى نشر الأدب ، العامل على إذاعة الثقافة ، والآخذ بيد المؤلف على إخراج ثمرات فكره ، و بين القارئ العارض الذى لا يثق إلا بما يراه رأى العين .

ولقد كان أول مشترك عندى فى هذه المجموعة هو حضرة صاحب العزة جرجس أنطون بك مدير المستشفى القبطى بالقاهرة الذى اشترك فى عشر نسخ ثم حضرة صاحب العزة إسماعيل بك الحكيم المستشار ، بالاسكندرية ، فى عشر نسخ أيضا .

وقد طبعنا ستين نسخة على ورق «إمبريال» ثمين وجلدناها بالشجران وجعلنا عشر نسخ منها للهدايا مرقومة من ١ الى ١٠ والخمسين الأخرى المرقومة من ١١ الى ٦٠ للاشتراك مقابل جنيهين مصريين للنسخة الواحدة فكان أول مشترك هو الأستاذ ألبير القو من الاسكندرية ، ثم السيدة م . ع هانم .

وإنى شاكر لحضرات المشتركين جميعا جميل ثقتهم وحسن ظنهم ونعدهم بمضاعفة الجهد فى خدمتهم ونرجو أن نوفق قريبا الى إخراج سلسلة كتب قيمة فى حجم « ما قل ودل » بحيث يظهر منها جزء كل ثلاثة أشهر بانتظام وبذلك تتكون فى وقت قصير مكتبة جديدة أنيقة يسهل حملها فى الجيب وتزين البيت وتجمع بين الثقافة والطرافة .

وإنى مدين بالشكر لصديق النبيل الأستاذ أنطون الجميل بك

الذى أكرمنى بتقديمى وتقديم كتابى هذا لقرائى بأسلوبه الجذاب ولا غرو فقد عودنى دائما عطفه الخلاب .

ونشكر أصدقاءنا الفنانين الذين زانوا هذا الكتاب بلمحات من فنهم النابغ حضرات الأساتذة حسين يوسف أمين وراغب عياد ومحمد حسن وعلى الديب و ب . أسعد و م . الغرابلى ومنسى ولوقا وصاروخان وسانتيز .

ونشكر الأستاذ الجليل محمد أسعد براده بك ، مدير دار الكتب المصرية ، على رقيق تشجيعه لهذا العمل وحسن ارتياحه اليه ، كما نشكر صديقنا الفاضل محمد نديم أفندى ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية على ما بذله من جهد وفن وعناية فى اخراج هذا الكتاب .

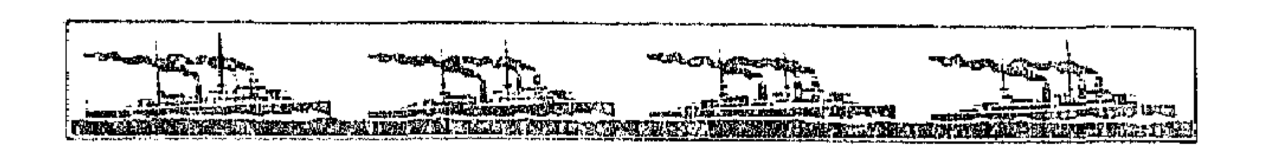
ونجدد لقرائنا الكرام عهدنا بأنهم كلما زادونا إقبالا زدناهم إتقانا والله كفيل بأن يوفقنا جميعا الى خدمة الفكر ومجد مصر .

ا . ص . م

فهرس

فهـــرس

قومیات



دروس التاريخ

فى ٢٠ أكتوبر من عام ١٨٢٧ ، وقعت معركة فاصلة فى تاريخ العالم وهى موقعة نافارين التى اجتمعت فيها قوات انجلترا وفرنسا وروسيا ، وهى الدول العظمى الثلاث فى ذلك الحين ، لتغرق الأسطولين المصرى والتركى . وكان المقصود بالذات أسطول محمد على باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة الذى كان من سادة البحر الأبيض المتوسط . وكانت خطته الحربية مع ابنه العظيم ابراهيم باشا من أروع ما عرف فى تاريخ الحروب .

ولم تكن هذه المعركة الفاصلة بين الدول وانما كانت معركة الشرق والغرب ، كانت مظهر جزع أوربا من راية مصر الفتاة التى جعلت تتقدم ثم تتقدم والنصر معقود لها فى كل مكان .

وما كانت مصر لتطمع فى تهديد سلام العالم وانما تطمع فى حماية حدودها، وحفظ كرامتها، وصيانة سيادتها . ويستحيل على دولة ذات شواطئ طويلة كمصر أن تبقى بلا أسطول، لذلك كان تحطيم ثلاثة أرباع الأسطول المصرى يوم حداد لمصر .

إنا نحب أن يسجل جميع أساتذة مدارسنا هذا التاريخ عندهم، وأن يقفوا ربع ساعة عن دروسهم اليوم لطلبتهم وطالباتهم للكلام عن موقعة ناڤارين، وأن يذكروا لهم لمحة عن محمد على الكبير، وعن ابراهيم أعظم بطل حربى فى تاريخنا الحديث الذى يعيد الى الذهن فتوحات رمسيس الثانى، وأن يخبروهم أن أسود أيام مصر هو يوم ناڤارين ثم يوم الاحتلال البريطانى، وأن بريطانيا التى اشتركت فى اليوم الأول كانت تحضر لليوم الثانى .

وهذا اليوم المنحوس الذى هدم سيادة مصر فى البحار قد بنى استقلال اليونان . ولكن اليونان قد عرفوا كيف يرفعون بناء استقلالهم طبقات بعضها فوق بعض . ولسنا ننسى

أن تجارا يونانيين نشيطين قد أثروا بيننا وأهدوا الى بلادهم سفنا حربية تزيد فى قوة أسطولهم .

أما نحن فقد كنا الى عهد غير بعيد نكثر الكلام ؛ وكانت جميع ثروتنا الأهلية فى حلى النساء من « الفرج الله » الى الخلخال الى « البندانتيف » ؛ وكان أغنياؤنا لا يعرفون إلا مصالحهم الشخصية . أما اليوم فقد لمست النهضة جميع الكائنات ؛ وتخلصت المرأة المصرية نوعا ما من أثقال الذهب والفضة ؛ وابتدأ الأغنياء يساهمون فى الأعمال الوطنية والمنشآت الأهلية ، وتأسست لمصر شركات للملاحة فى الداخل والخارج ، وتعلم شباب ناهض منا الملاحة ، ووضعوا شارة البحر على أكتافهم وأكمامهم ، ونالوا شهادات فى قيادة السفن .

ففى اليوم الذى تهز فيه الوطنية المرأة المصرية الى تقدمة حليها ، كما فعلت المرأة الفرنسية التى قصت شعرها وباعته لتدفع جزية فرنسا لألمانيا لهزيمتها فى الحرب السبعينية ، فى اليوم الذى تفعل فيه ذلك المرأة المصرية لبناء نواة الأسطول المصرى ،

ويتزل لهذا الغرض أيضا الأغنياء الذين يملكون ألوف الأفدنة ولا يكادون يعرفون كيف يحصون دخلهم ، ولا يكادون يتزاولون عن قرش لوطنهم ، فينزلون عن بعض مالهم لخدمة وطنهم ، وبقاء مجدهم ، ففى هذا اليوم يحيا أملنا ، ونرفع رءوسنا ، ونثق بأن علمنا البحرى الذى نكس فى مثل هذا اليوم فى خليج نافارين لا يلبث أن يرتفع وأن يخفق فوق البحار فيقلب على تاريخ نافارين المؤلم صفحات تاريخ جديد مجيد .



بلادى بلادى

وقفت أمس فى ساعة الغـروب على شاطئ النيل ، عند ذلك المنعرج العجيب بعد دار المندوب السامى ، أتأمل ذلك النهر المقـدّس الذى عبده بالأمس أجدادنا ، وأرى الضـفة الأخرى بنخيلها وجناتها وأشجارها الباسقة ، والسماء ورد ذهبى ، أجمل من البندقيـة ، ومن نابلى ، ومن فلورنسا ، ومن روما ، ومن لندن ، ومن باريس ...

القصـور الشاهقة على الجانبـين تنبئ بالغنى الفاحش ، وبعضها ينـبئ بذوق سـليم . وهى الى جنب بعضها البعض متماسكة منفصلة كأنها تتدلل وتتناجى .

لا السـين ولا التاميز ولا التيبر ولا الرين ولا بحـيرات سويسرا وايطاليـا يمكن أن تفوق جمـال هـذا النهر . من شرب من مائه مرة عاد فشرب مرة أخرى ولو راح الى أقصى الصين ... هكذا كتب على ورق البردى . وكذلك

من كل جانب، ومن كل مكان، فى مصر من أقصاها الى أقصاها، ترى النيل، ولا تشبع منه. ملأت قلبى من جمال المساء، ومن جمال الشرق، ومن جمال مصر... رأيت الوداعة والسلام والحنان كأنها تعطر الجو حولى وتنطق بكل ما فى هذا البلد من جمال وخير. هذا الخير نقدمه بسخاء الى الذين يقدمون الى هذه الديار دون نظر الى جنس أو دين؛ ولكن هذا السخاء ليس هو التفريط. فنحن كل يوم نزداد اعتزازا ببلادنا وشعورا بمركزها النادر الذى لا مثيل له، وبرخاء العيش فيها، وبجمال الحياة بين ربوعها. ففى يوم الاستقلال، ذكرت الموقف الشاذ الذى نحن فيه: أمة عريقة ناهضة مستكملة كل وسائل القوة والاستقلال لا تزال مقيدة بقيود تحير العقول من تحفظات وامتيازات! فعلى الآباء والأمهات أن يأخذوا أولادهم منذ نعومة أظفارهم ويقفوهم على روائع بلادهم. فليأخذوهم الى المتحف الذى تنحنى أمام آياته الرءوس؛ وليأخذوهم أمام النيل ليروا تلك التربة من حوله تطرح ذهبا وتعكس لون الذهب على سطح الماء، وعلى وجه السماء...

وليقولوا لهم أن يعتزوا بهذه البلاد ، وأن يحبوها حبا خالصا مطلقا قويا لا حدّ له ، بكل عيوبها وحسناتها ، بكل ما فيها من شقاء وهناء ، أن يحبوها محبـة الابن لأمه لا يفكر هل هى قبيحة أو جميلة ، وليقولوا لهم إن أمهم مصر أجمل بلاد الدنيا ، وهى بحاجة الى أبنائهـا ليذودوا عنها ، ويكسروا آخر قيودها ، فيصبح يوم استقلالها حرا صادقا كأخلاق أهلها .



أمام الكرنك !

عند ما وقفت منذ يومين أمام الكرنك عند غروب الشمس ، وحولى عشرات من رجال الصحافة وأهل الأدب من كافة أنحاء المعمور ينظرون مثلى مأخوذين مدهوشين فاغرى الأفواه من هذا الجلال وهذه العظمة لقوس النصر الفرعونى الذى لم تمحه ثلاثون قرنا تعاقبت بأيامها ولياليها وشمسها وأعصارها وزلزالها ... ، عند ماوقفت هكذا ورسمت ظلا ضئيلا الى جانب ذلك الظل المهول شعرت بعظمة الأمس وذلة اليوم ، شعرت بأن هذه الأيام التى نحياها مهما ملأناها ستظل فارغة ، وبعد قليل سيمحو بعضها بعضا وكأنها لم تكن .

هؤلاء القدماء — وكل رأس مالنا الانتساب اليهم — كان لهم مثل أعلى نقشوه على الحجر فأصبح كهذا الكرنك غرة

---

* هم أعضاء مؤتمر الصحافة اللاتينية الذى دعته « الأهرام » الى القاهرة فى يناير ١٩٣٢

فى جبين السماء، وحققوه بالذوق وبالفن. وإن المرء ليتساءل: أيكون الذوق أو الفن قد ارتقى عما كان عليه منذ هذه القرون العديدة !؟ كلا. فهاهم أولاء الأمريكيون، وهم الآن أغنى أهل الأرض وهذه الكهرباء والمناجم والآلات فى خدمتهم، فماذا صنعوا!؟ لقد أقاموا بفخر وكبرياء عمارات هائلة سموها نواطح السحب، وهى أدوار وشقق ومكاتب ومخازن وغرف للإيجار. وهذا ليس مثلا أعلى، وإنما هى آلية مادية ترمى إلى استغلال المال بأنفع الوجوه، والمصريون القدماء لم يفكروا فى المال وانما فى الروح. فالإنسانية إذًا قد انحطت وتقهقرت، وتحول جزء كبير منها الى حيوانية، وهذه عواقبها نراها فى دول مثقلة بالديون، منهوكة القوى، يريد بعضها أن يفتك بالبعض الآخر بالحرب أو بالمال، وبعد ما كانت تبحث عن سلام الروح وهناءة الخلود، وتدخر دنياها لآخرتها، وتقيم الأهرام الشامخة لهذا دون سواه، نراها اليوم قد تكالبت وأصابها السعار وأنكرت آخرتها وأبت إلا أن تملأ دنياها بالصغار. وهكذا أيضا سار الناس فيما بينهم على دين دولهم وحكوماتهم، فقلّت النجدة

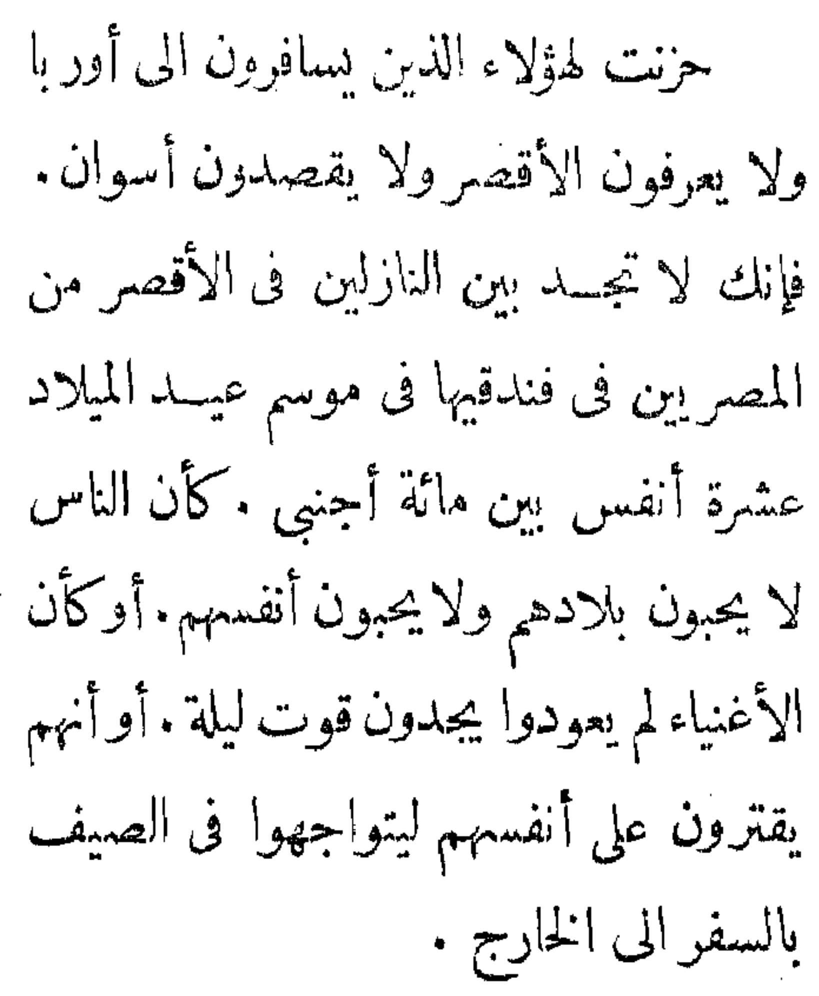
والمروءة والتعاون والخير والمعروف ، وأصبح الجار يسرق أرض جاره ، ومستأجر الضيعة يحرق صاحبها ، والولد يقتل أباه من أجل القرش .

فهذا زمن أسود لاخير فيه . فلنقف أمام عظمة الأمس حاسرى الرءوس لأنها كانت عظمة النفس ، ولنحاول أن نوارى فى ظل هذه المقابر والمعابد حياء أيام الكسل والخمول ، وأن نوارى فى ظلها ذل الدنيا لتكالبها على الدنيا !

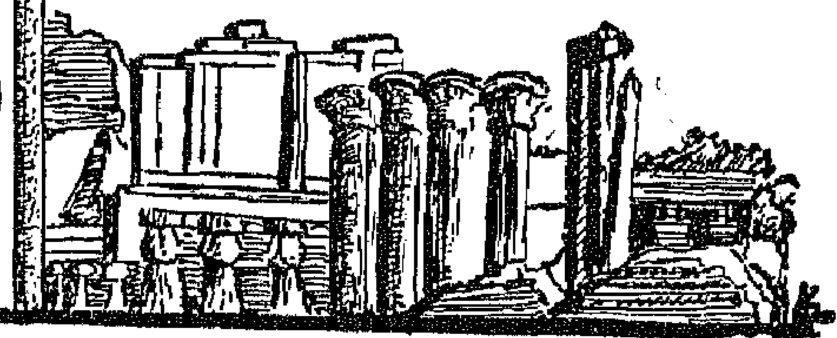


الأقصـــــــر

الأقصر! . جنة من جنان الأرض . لا عجب اذا كانت آلهة المصريين القدماء قد اتخذتها مستقراً لها ومستودعاً



حزنت لهؤلاء الذين يسافرون الى أوربا ولا يعرفون الأقصر ولا يقصدون أسوان . فإنك لا تجـد بين النازلين فى الأقصر من المصريين فى فنادقها فى موسم عيـد الميلاد عشرة أنفس بين مائة أجنبى . كأن الناس لا يحبون بلادهم ولا يحبون أنفسهم . أو كأن الأغنياء لم يعودوا يجدون قوت ليلة . أو أنهم يقترون على أنفسهم ليتواجهوا فى الصيف بالسفر الى الخارج .



تناولنا الشاى أمس، مع أعضـاء نادى السيارات الملكى الايطـالى الذين قطعت معهم الرحلة من القاهرة الى الأقصر بالسيارة ، عند قنصـل ايطاليا ، فى داره الجميـلة المشرفة على النيل . وكانت الساعة الخامسة والربع مساء . وقفنا ذاهلين ، فان هذه السماء هى سماء ملوك وسماء آلهة ، وهذه الشمس التى عبـدها يوما أسلافنا كانت فى تلك اللحظة بكل جمالها وجلالها مغربة على وادى المـلوك ، واذا الجبـال قد اتخذت منها لون الأرجوان الشاحب ، واذا النيل فضة وذهب وياقوت كالسماء . فكأن هـذا النهر المقدّس يردّد وراء الشمس أغانيها ويتخذ من السماء صورتها ، والزوارق الصغيرة ذات الأشرعة البيضاء فوق سطحه المديد كأنها زهور النيلوفر . ومن أقصى الوادى فى ذلك السكون المخيم والسلام الحار ، كانت تصلنا كما لو كنا فى حلم ، أناشيد النوتية يرتلونها فى حب النيل .

شعرنا عندئذ أننـا أغنى أغنياء العالم . كانت قلوبنـا قد عمرت منـذ قليل بروعة الكرنك ومعبد الأقصر ومنظر البحيرة المقدّسة . كنا وقفنا مشدوهين تحت الأعمدة الهائلة المتوجة ،

وأمام ذلك المجد الغابر الناطق فى المسلات الرشيقة ، وفى تماثيل الملوك والأرباب كاقد انتشينا بخمر الماضى ، وثملنا من رائحة التاريخ المجيد التى تسكر الجوارح . وجئنا الآن نشهد على أن الله لم يتخل عنا . فان الذين هذه أرضهم وهذه سماؤهم حقا من أحباب الله ! .

إن عجبت لشيء فى الدنيا فهو عجبى للذين أعطاهم الله المال وحرمهم المزاج . فكأنه تعالى لم يعطهم إلا ليذيقهم معنى الحرمان ! . فهو يكرههم ، لأنه لو كان يحبهم لجعلهم فقراء سعداء أصفياء البال يأكلون بكل شهيتهم ، ويصلون بكل قلوبهم ، وينامون ملء جفونهم . ولو كان يحبهم لعرفوا الأقصر ! .

كانت زيارتى الأخيرة للاقصر فى العام الماضى مع مؤتمر الصحافة اللاتينية الذى دعته «الأهرام» . وكان دليلنا الى آثارنا العالم الكبير « مسيو فوكار » فبهر عقولنا بتفسيره وفصاحته ومعرفته . جعل الأبواب السحرية ، الأبواب التى أغلقت منذ أربعين قرنا ، تفتح ثانية وتتقبلنا فى معابد الآلهة . تتقبل إعجابنا العميق وتحيتنا وخضوعنا ، خضوع أربعين شعبا كانت ممثلة فى مؤتمر الصحافة .

والآن إذ أعود الى الأقصر لقضاء أسبوع لا يسعنى إلا أن أذكر مسيو « فوكار » الذى جعل الحجارة يوما من الأيام أمامنا تتكلم . وأن أذكر الصفاء والهناء الذين يشعر بهما كل من قصد الأقصر، ففى جوّها الدافئ يسترد البدن قواه، وتحت سمائها الرائعة الصور والألوان تكتشف النفس أسبابا جديدة للتمسك بالعيش وتقدير الوجود ، وعند آثارها الخالدة نستلهم الأمس فننتعش للغد ونعتزم أن نجعل الحياة أحفل وأغنى بمعانى الحياة ! .



ســـر المــاضى

قبل أن ننزل الى قبر توت عنخ آمون فى وادى الملوك ، فى صباح يوم جميل ، بين رفاق طابت عشرتهم على قرب العهد بهم ، شـعرنا بأننا قادمون على زيارة عظيمة تسـتلزم الصمت والوقار ، فسكتنا جميعا حتى السيدات ، ونزلنـا ستة بستة ، وكان النور الكهربائى القوى مسلطا على التـابوت الذهبى ؛ فوجدنا الذهب يكسف النـور ، بل إن الذى كان يكســف النـور والكائنات جميعا هو روح توت عنخ آمون الملك الشاب .

فعن طريق هـذا الملك تملك مصر الآن أعظم ثروة أثرية عرفها التاريخ . إنها لا تقدر بمال . إن جميع متاحف الأرض لا تملك مثلها .

هذا التابوت الذهبى الرائع ، هذه العيون السوداء النجلاء

التى تنظر للناظر اليهـا بتهكم فتان ، تهكم الذى وصل بمن لم يصل ولن يصل مع مضى ثلاثة آلاف عام على العهدين !

وصل الى ماذا ؟

هذا هو السؤال الذى قد يوجهه القارئ الكريم . ولست أريد أن أفيض هنا فى الروحانيات ، وإنما أشير بلمحة واحدة الى المـاديات . فإن الذى يقف أمام تلك النفائس المدهشة بمتحف القاهرة ، وأمام هذا الناووس الذهبى بمقبرة توت عنخ آمون ، بل وأمام تلك اللوحات المنقوشة على الصخر والأعمدة والمسلات والتماثيـل ، لا يسعه إلا أن ينحنى أمام هـذا الفن العظـيم .

ولم يكن هـذا العلم والفن قائمـين على رمال خائرة ، بل إنهما نتيجة الدرس الطويل والصبر الجميل ، هنا نجد الإتقان الكامل فى أصغر الأشياء وأكبرها على السواء : من صور البط الوحشى والقـردة والثعابين والعجول على الصـخر ، الى تلك الحلى الذهبيـة والجواهر التى يعجز عن تقليـدها أبناء القرن

العشرين . فآية الصانع كانت الإتقان . كان يعمل لا لساعة، أو ليوم، أو لعام، و إنما للابد ؛ لذلك وقف ممثلو أربعين أمة من أمم الأرض مأخوذين يقولون : هـذا هو الفضل العظيم وهذا هو الخلود !

ذكرت هذا كله فى هذا المساء لأننى وجدت بين أوراقى خطابا من مؤلف كتيب صغير أرسـله الى منذ مدّة ونسيت الاشارة اليـه، أو بالأحرى تردّدت فى هذه الإشارة، فوجدته فى رسالته غضبان أسفا فهو قد وضع كل أمله فى هذا الكتيب. وهو يائس، ولو أنصف نفسه والناس لحاول خيرا من هـذا، ولما علق مسـتقبله على كلمـة تكتب فى الصحف وينساها الناس بعد قليل . إن فى الحياة أشياء أجمل وأعظم من ذلك كله.

حقا إننا فى حاجة كل يوم الى النظر الى الوراء لنمضى الى الأمام ، وأخـذ دروس عن الذين أتقنوا الحيـاة والموت ، وتركوا فى كل خطوة عبرة وذكرى . وان نترك نحن وراءنا عبرة، وأكبر ظنى أننا حتى بما غبر لن نعتبر .

حيـــاة الجنـــدية

ضابطان فى رتبــة محترمة فى جيشنا المحترم ، يتحدثان فى مكان عام بصوت مسموع ، ويهنئ أحدهما صاحبــه بأن خدمة (الطوبجية) عندنا قد أصبحت مقبولة محمودة ؟ لماذا؟ هل اشترى جيشنا مدافع هائلة جديدة مثل « برتا » التى كانت تقطع قنابلها الألمــانية خلال الحرب بلجيكا طولا وعرضا ؟ ! هل زادت التمرينات (العسكرية) التى يطلق فيها الجنود المصريون مدافعهم بحماسة ونشاط كما يفعل الانكليز فى صحراء هليو بوليس؟ كلا ! ... ولكن هــذه التهنئة راجعــة الى نقل نقطة الســلوم الى الدخيلة !

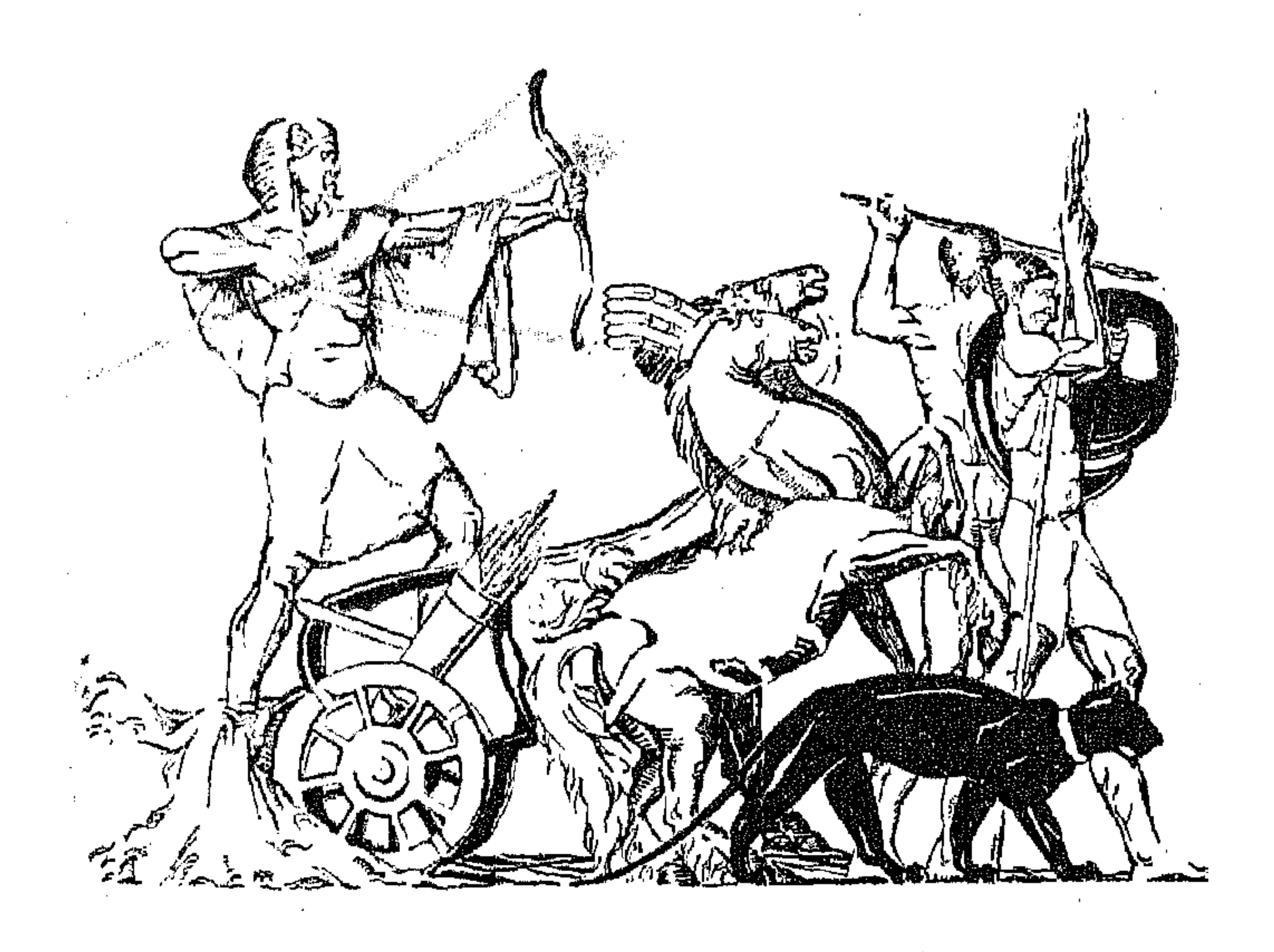
نسأل الله أن يكون هــذا فى جيشنا استثناء ، فان هــذه الروح الناعمــة من أخطر ما يكون على الضابط الذى يجب أن يكون مثال الرجولة والشجاعة والاحتمال . فليست الجندية هى الرغد ولكنها العناء والكفاح ، وليست الجنــدية هى الفراش

الوثير ولكنها المركب الخشن . وما هـذه السلوم التى تعلد فيها الطوبجية بحيا !؟ أليست قطعة من مصر؟!

هـذا هو المتعلم . فانظروا الآن الى الجاهل . فالقاطنون هليوبوليس أو ضواحيها يرون قبل منشية البكرى الوف الخلائق من نساء ورجال ينتظرون فرز أولادهم فاذا قبـلوا لطم النساء الخدود وضرب الرجال الصدور وساروا كأنهم وراء نعش، لأن ابنهم دخل الجندية . ويحاولون قبل ذلك أن يقطعوا أصبعين من أصابعه أو يقلعوا له عينا أو يحـدثوا له عاهة فى جسده . فلماذا ؟ هل سيذهب ابنهم الى جهنم!؟ كلا!... إنه سينتقل من درجة بعيدة عن الانسانية الى درجة انسان، فيعرف كيف يأكل وكيف ينام وكيف يعيش وكيف يعمـل وكيف يصبح عضوا عاملا فى المجتمع الإنسانى .

فهذه الروح الخائرة يجب أن نقاومها ، يجب أن تغـرس كل أم فى قلب ولدها الشجاعة وحب البلد! . يجب أن نعرف أنه إذا كان للانكليز السلطة على المدرسة الحربية فليس للانكليز سلطة على قلوب أولادنا منذ نعومة أظفارهم، فيجب أن نصب

فيها الجرأة والشهامة كما نصب الحديد فى أخلاقهم ، فان هذا الزمن اللين الناعم الذى نعيش فيــه على الأرائك نلوك الكلام كما يشتر البعير طعامه هو زمن لا خير فيه . وما أحرانا أن نمرن أولادنا جميعا على حياة الجندية ، فهى تخلقهم خلقا آخر وتجعل من « أولاد الذوات » رجالا ! ...



الفـــلاح

في مولد السيد البدوى قد احتشدت ألوف الخلائق كأنه يوم الحشر، أقبلت من جميع أنحاء البلاد التماسا لبركة السيد .

وعلى ذلك فقـد انتهز أصحاب المقاهى الفرصـة فكدسوا الكراسى وجاءت « الغوازى » يرقصن رقصـة البطن المعيبة، وفاحت رائحـة خبيثة لأطعمة يعلم الله كيف طبخت، وملأ التراب الجـوّ أذى للأنوف ، وقذى للعيون، و وقف الأتباع والمريدون وصـغار الآخذين بالعهود على أبواب كبار المشايخ والسادة وموزعى العهـود ومقسمى البركات ، وكثرت العمائم الخضراء والحمراء ، وصـدحت موسيقيات الحكومة بنغمـة واحدة ، وتقدّمت فرقها الجنود ، وتقـدّم الموسيقيين جندى يختـال بعصاة طويلة فيها رمانة معدنية يلعب بها ويقـذفها ويلقفها، ولا يرى على الأرض أحدا أبرع منه ولا أبدع !

حقا إننى عدت محـزون النفس من مولد السيد ، فقـد

غلب لون واحد على جميع ما رأيته : من خضرة المزارع ، وصفاء السماء ، ومنظر الشفق الياقوتى الذى يأخذ بمجامع القلوب . ذلك اللون هو تلك الصفرة الفاقعة التى اكتست بها وجوه الفلاحين. لقد جعلت أتأمل تلك الوجوه الذابلة الشاحبة الكسيفة الكئيبة فأرى فعل البلهارسيا والانكلستوما .

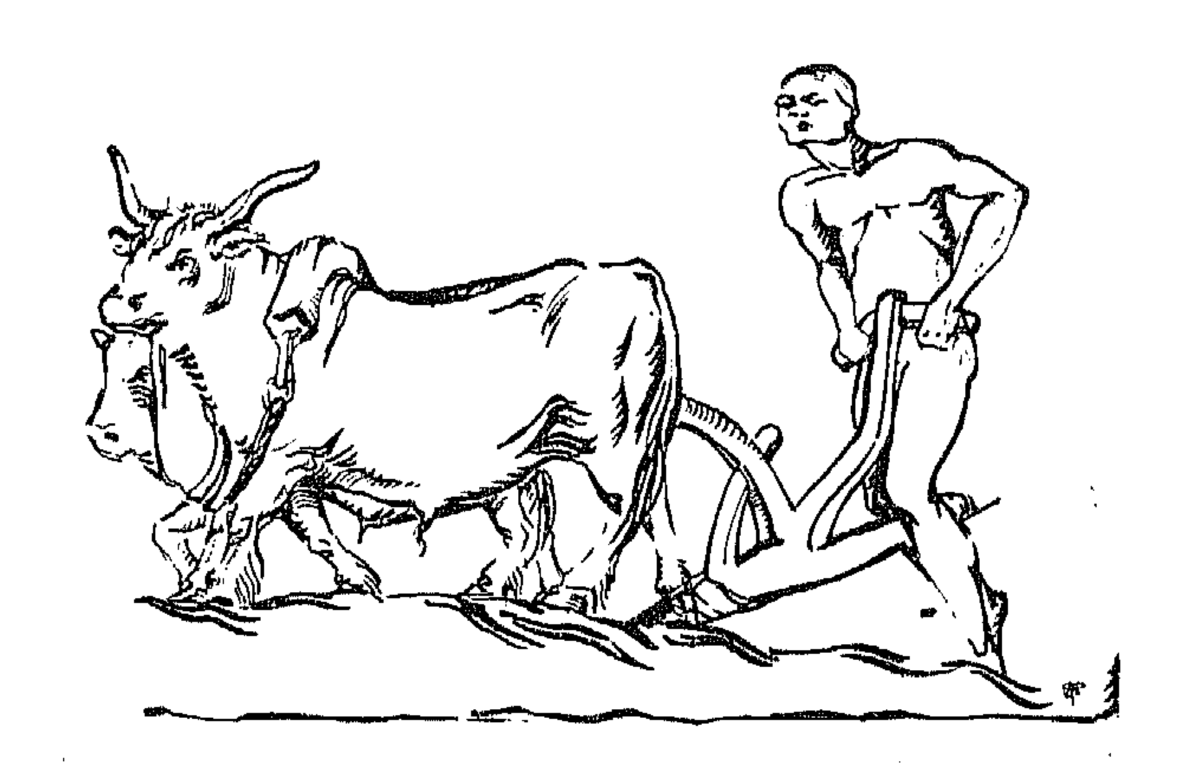
هل هذا هو الفلاح الذى صمد عشرات الأجيال وأخرج مئات الذرارى القوية؟ هل هذا هو الفلاح الذى ضرب بطن هذه الأرض منذ ألوف السنين وجعلها بهمته وصبره وقوته من أخصب بقاع الدنيا ؟

هل هذا هو الفلاح الذى امتاز بذكائه المفرط ، بل بدهائه العجيب الذى يفوق فى «دبلوماسيته» ومكره دهاة الساسة ؟ !

هل هذا هو الفلاح الذى كان يتزوج ويترك عشرين وثلاثين وأربعين ولدًا كلهم أقوياء أذكياء ؟ !

كلا ! ليس هذا هو فلاح الأمس! إن تسعين فى المائة من الفلاحين الذين رأيناهم فى مولد السيد البدوى رضى الله

عنه تدعو حالتهم الصحية الى أشدّ القلق والجزع . واذا كنا نردّد حديث الأزمة والبؤس فعلينا قبل ذلك أن نعرف ما يهدّد الثروة المصرية فى يدها العاملة ، وذكائها الوقاد ، من انهيار صحة فلاحيها .



بنـــك مصر وشركاته

حضرنا افتتاح مصـــبغة شركة مصر لنسج الحرير، وكان يوما عاصفا باردا، لكننا كنا ممتلئين دفئا وقوة من فرط الفرح والابتهاج بعيد من أعيادنا القومية .

فرأينا من بعيد، فوق ذلك الموقع البديع بكفر العلو قرب حلوان، مدخنة مصنع الصباغة وهى ترسم فى الأفق علما هائلا من الدخان . هو علم الصـــناعة هو العـــلم الذى ينشره طلعت حرب باشا على هـــذه البـــلاد رمزا لنهوضها ووقـــوفها مع الأوربيين جنبا الى جنب .

هذا العـــلم المرسوم بالدخان فى الأفق الأرزق هـــو رمز الكرامة التى جعل يستردها لنا طلعت حرب باشا جزءا جزءا .

منذ ثلاثة عشر عاما وهو يعمل بلا انقطاع ؛ فى كل يوم يرفع مهانة عنا ويزيح عبئا من أعباء الخمـــول والتقاعد، فى كل يوم يفتح فتحا جديدا بالفعل لا بالقـــول ؛ لأن رجل العمـــل

المنتج ، رجل العمل الصامت ، رجل العمل العظيم هو طلعت حرب باشا .

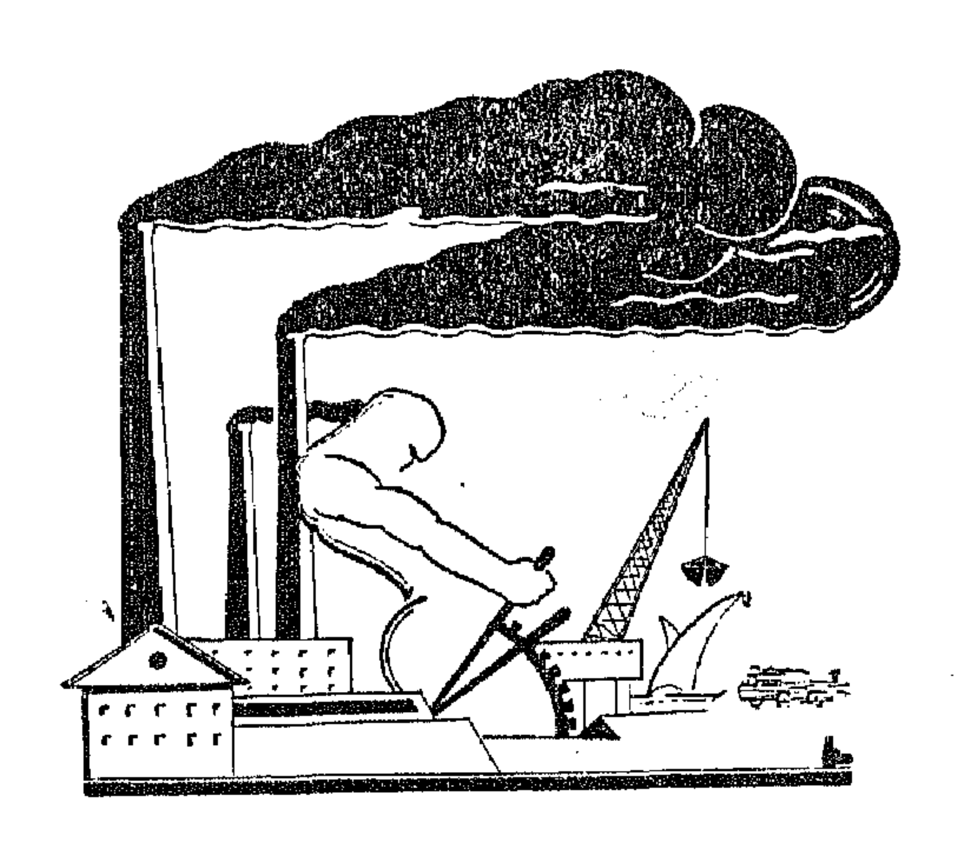
هذا الرجل هو خلاصة نهضتنا ، هو الذى أبرز للوجود عزتنا القومية من دمياط الى القاهرة ، ومن باريس الى أسوان . ولذا فإن قطرا بأسره ، شعبا بأسره من ورائه ينظر ويتأمل ويعجب وينحنى مغرورق العينين بدموع الشكر وعرفان الجميل .

كان بيننا أمس فى آخر الصفوف هذا الذى هو زعيم أمة ! كان فى معطفه الأزرق وكوفية صوف الجمل لا يكاد يبدو تواضعا . وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر كان لدى الباب فى عصف الهواء ، ينتظر الموكب الجديد الوافد ، فقد وصلت سيارات (أوتوكار) مكتب مصر للسياحة تحمل بعض موظفى بنك مصر الذين جاءوا لمشاهدة المنشأة الجديدة ، فنزل مائة شاب من ذلك الشباب الناهض الكريم الذى قامت على ذكائه ونجابته وأمانته ووفائه دعائم بنك مصر وشركاته .

وكان الأب الكبير ينظر بعطف ومحبة الى أبنائه هؤلاء الذين تربوا فى مدرسته العملية العظيمة . هؤلاء الذى تربوا تربيتهم المالية مستظلين بعلمه وفضله وحنانه .

أى كلام أو أى إلهام يمكن أن يصور هذا الخير كله ! ؟

لسنا نحن الذين نردد آيات الحمد لطلعت حرب باشا . إننا أعجز من ذلك . إن هذا الجيل كله أعجز من ذلك . إن الأجيال القادمة، الذريات القادمة هى التى ستعرف فضل طلعت حرب باشا ، وهى التى ستعرف كيف تكرمه وتقدسه لأنه هو الذى مهد لها الطريق الوعر، الطريق القفر، وهو الذى عبّده لها فصار طريق الحياة !



"زمزم" و "النيـــل"

تهادت «زمزم» باسم الله مجريها ومرساها بين الاسكندرية وبورسـعيد، فى طـريقها الى البقاع المقدسـة التى وعد الله المتقين . فشعرنا بالدين العظـيم الذى فى عنقنا جميعا كمصريين لرجال بنك مصر . ذلك البنك الذى يقـدم كل يوم خدمـة جديدة، خدمة لهذا الجيل لأنه يفتح صدره لشبانه يعملون فيه وينتفعون به، وخدمة للجيل القادم لأنه أساس طيب لمستقبل مجيد، خدمة ليست مادية فقط بل أدبية أيضا، لأنها ترفع من كرامتنا وتزيدنا ثقة فى أنفسنا وتجعل لاستقلالنا وجاهة التدعيم الذاتى المتجدد المرتكز على عمل الشعب، وثقة الشعب، وتعاون الشعب .

فهذه البواخر التى ينزلها اليوم بنك مصر الى البحر، تحمل علم مصر الأخضر بهلاله الناصع ونجومه المتألقة، هى من أجمل رموز استقلالنا وأشرف علامات جهودنا فى سبيل حريتنا الاقتصادية .

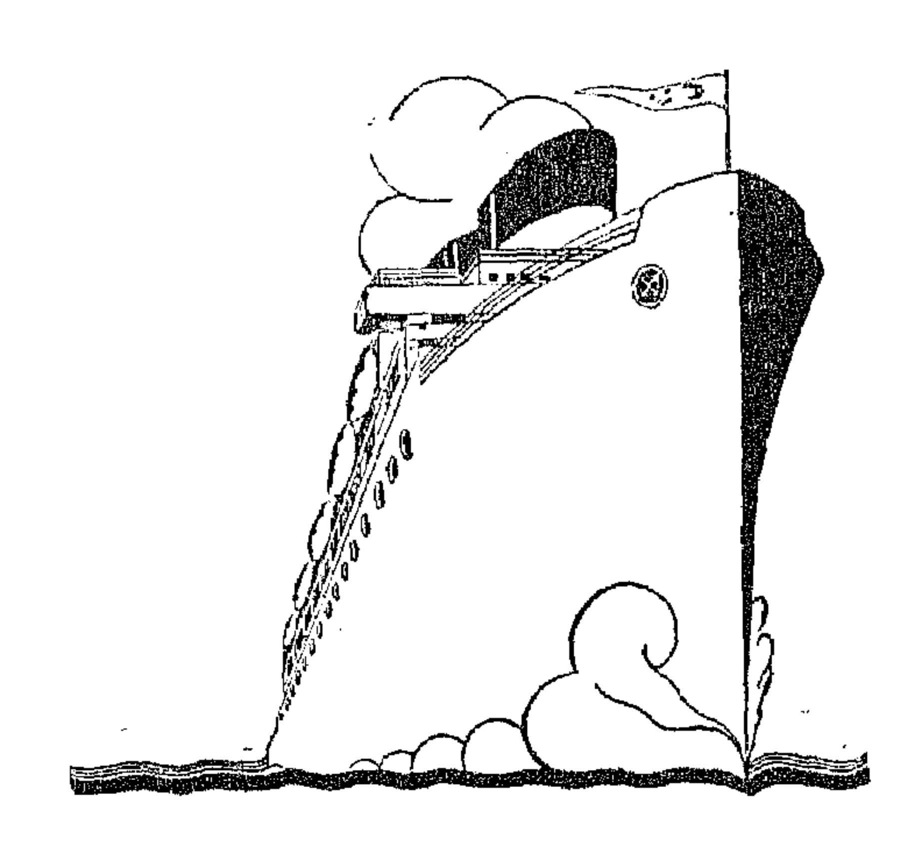
وهى دين آخر لهذا الزعيم العظيم « محمد طلعت حرب باشا » ولعضده اليمين الصادق الأمين « الدكتور فؤاد بك سلطان » ونحن نحب أن تكثر لها عندنا هذه الديون القومية ، لأنها هى التى تقيم جبهة واحدة متينة مرتفعة شامخة فى وجه الانحلال القديم الذى كان يسود مرافقنا المادية ، وكان يجعلنا عالة فى كل ناحية على الأجانب ، وكان يشعرنا بمذله هذه الحاجة ، وهذا الضعف ، وهذا العجز .

فنحن فى هذه المشروعات الخطيرة التى يقوم بها بنك مصر وشركاته نجد تحقيقا للأمانى التى تجيش فى صدورنا من زمن مديد ولا نعرف الى تحقيقها سبيلا . نجد أن الدهر قد أصبح أرفق بنا وأحنى علينا مما كان حتى الآن ، لأن المرآة الوحيدة التى تعرف فيها أمة من الأمم نفسها إنما هى التى يصنعها بنوها ويصقلها الأحفاد على مدى الأيام .

وعلينا إذًا أن نضاعف ثقتنا بالله وبأنفسنا وبمصيرنا ، وأن نسأل الله أن يقيض لنا رجالا أبطالا كهؤلاء يخدمون للخدمة فى صمت وسكون ، ويبعدون عن ضجيج الفراغ لينسجوا

فى هدوء نسيجا جديدا لحياة بلادهم ، لحياة هذا البلد الذى نحبه ، ونعيش من أجله ، ونفديه بالنفس ...

حيا الله بنك مصر ورجاله ! فمن هذه الناحية تشرق علينا كل يوم شمس تظل مشرقة ولا تغيب باذن الله أبدا . فان وطننا الذى أشرقت منه يوما شمس الحضارة بحاجة الى تجديد قواه ، بحاجة الى حرارة قوية والى ضوء شديد يبهر الأبصار ويعمر القلوب بالايمان ، بأن لمصر الحظوة عند الله يحبوها بالنعم التى تتوالى ولا تنقطع ، وهو سبحانه ولى العاملين المخلصين .



الوطنية العملية

انظر الى مدينة القاهرة، عاصمتنا الجميلة، عروس الشرق، وتأمل ماقام بها من عمارات نخمة لا مثيل لها فى لندن نفسها، وانظر الى السيارات الوجيهة التى تجرى فى شوارعها، و إلى الأجناس التى تزدحم بها، وما تتكلمه من لغات، وما تعتنقه من ديانات .

انظر الى هذا وتأمل قليلا، تشعر بهيبة الحضارة ومقدار الضريبة الهائلة التى تفرضها على من يريد أن يعيش ممتعا بها ؛ لأن الاختلاط الذى نراه بين العناصر الشرقية والغربية يهذب الذوق و يلهب العزائم . فالتاجر الذى لا يجدّد بضاعته لتوافق مزاج الزمن الذى نعيش فيه ، ولا يتفنن فى عرضها بواجهة محله، مقضى عليه بالفشل حتما .

أضرب مثلا تقريبا لصورته فى الذهن : تصوّر دكان

بقال تفتح فى شارع المناخ وتضاء بمصباح غاز فى فانوس ... فهو بالطبع لن يبيع فى يومه بثلاثة قروش .

وقد أدرك ذلك الغربيون وأخذوا به ، ودرسوا نفسية «الزبون» . والزبون هو هو لم يتغير ولكن كل ماحوله قد تغير . فالأنوار التى تزين واجهات المحال التجارية كانت قبلا ساطعة تخطف الأبصار فأصبحت اليوم مختفية تشع شعاعا غير براق على الأشياء فتظهرها أجمل مما هى ، لأن فى ذلك الشعاع الخفى نداء الى الذهن والقلب ، وفيه دون شك حنان و إغراء . فاذا عرف التاجر أيضا كيف يختار بضاعته ، وكيف ينسقها ، وكيف يعلن عنها بلباقة ، فانه ناجح حتما .

ودعوى الوطنية فى الأخذ والعطاء قليلة الجدوى ، لأن الزبون أصبح مغاليا ، يريد أن يأخذ بأكثر من نقوده أو على الأقل بما يساويها . وليس يهمه ان كنت من جنسه أو على دينه ، وانما يهمه أن يأخذ ماهو فى حاجة اليه من أحسن صنف بأرخص ثمن ، ولا يتكبد للذهاب اليه مشوارا طويلا بعيدا عن الوسط التجارى للمدينة .

ومنذ شهرين اثنين رأينا مصريين عصاميين قد أنشآ في أعظم حي بالمدينة مطعما ومحلى . هما الحاتي والرمالي . فأقبل عليهما الأجانب قبل المصريين . فلماذا ؟ لأنهما عرفا كيف يختاران المكان، وعرفا كيف ينسقان محليهما ، وقدما صنفا جيدا بسعر معقول .

وهذه عندي هي أعظم ضروب الوطنية . فنقتبس عن الغرب آخر ما وصل اليه تقدمه المادي ، ونجتهد في أن نجعل له وجها شرقيا محببا في الوقت نفسه، ونحرص على ملاحظة هذا التقدم كل يوم في تجارتنا وصناعتنا كما يحرص الطبيب البارع على الوقوف على تقدم علوم الطب كل يوم .

فعندئذ، وعندئذ فقط ، نزحزح الغربي الذي نشكو منه بالكلام الفارغ والرغاء بالوطنية . فوطنية القرن العشرين هي وطنية العمل والجرأة والتجديد لا وطنية الثرثرة والخمول والجمود .

الوطنية الصادقة

خطب الصديق النابغ الأستاذ فكرى أباظة منذ أيام فى حفلة افتتاح سينما فؤاد فقال : ماذا تريدون أكثر من هذه الوجاهة؟ فنحن لاننا شدكم الوطنية وانما نقول لكم انظروا هذه الأنوار ، وهذه المقاعد المريحة ، وهذه القاعة الفسيحة ، وهذا وهذه ... فرد عليه الأستاذ أحمد حسين بقوله : لماذا لا تناشدنا الوطنية ؟ ! لو كانت هذه السينما « اسطبلا » لحضرنا اليها طائعين مرتاحين لأنها خير من الدور الأجنبية .

فهاتان الفكرتان المتعارضتان بحاجة الى الوقوف والتأمل . فنحن فى دور انتقال نحاول تحقيق ما فاتنا من منشآت صناعية ومالية وتجارية . وقد استيقظنا على الصوت القومى ينادينا بالنهوض بعد السبات والركود فوجدنا كل شىء فى يد الأجانب .

ولكن لو أن طلعت حرب باشا الزعيم العظيم قد جعل يطبل ويزمر باسم الوطنية مع الطبالين والزامرين ولم ينشئ

هذا البنك الكبير وتلك الشركات النافعة الناجحة لنظر العالم كله إلى وطنيتنا نظرة احتقار لأنها تكون وطنيـة كلام فارغ وتهـويش .

فالوقت الحاضر هو وقت أزمة شديدة، كل انسان فيها لايعيش من ميراثه وانما بعرق جبينه . والوارثون هم فى أزمة شـديدة حتى انهـم الآن أفقر من العمال . فالرجل الذى يكد ويكدح ويكسب القرش ببذل دمه وقواه وروحه لا يرضى أن يذهب إلى « اسطبل » ليتفرج على جريتـا جاربو أو بهيجة حافظ . لذلك عنـد مافتحت سينما فؤاد أبوابها عمدت إلى تجديد واجهتها على شكل عصرى ووضع النور بشكل فنى . واذا لم تكن قد فعلت ذلك فانها كانت تبقى فى حالة يرثى لها أمام غيرها من دور السينما، منافستها وجها لوجه ، ولم تكن الوطنية وحدها تكفى لتجتذب الناس، لأنه لمـاذا تكون الوطنية حقيرة مظلمة قذرة، ولمـاذا لا ترفع رأسها أيضا بالعز والوجاهة والنور كالأجنبية سواء بسواء أو أعلى منها درجات ؟ !

فاذا فتح أحد الوطنيين مقهى قذرا فناجينه مكسرة

رخيصة، وماؤه ساخن، وبنه ردىء، وخدمته فوضى، ونوره ضئيل ، ومناضده خشنة ، فهل نتهافت على الجلوس عنده ونترك الرومى الذى أمامه وهو ضده فى كل شىء ؟ !

كلا !

لأن الوطنية عندئذ لا تنطبق على ذلك «الوطنى» ؛ لأنه رجل لم يدرس حالة السوق ، ولم يعرف أن النعرة وحدها لا تكفى ليشرب الزبون « الدردى » من يد الوطنى لأنه وطنى . وكأن الزبون اذا لم يقبل ذلك لا يكون وطنيا ؟ !

يجب أن يعرف الوطنى كيف يبذل ليملك السوق ، ويقف وجها لوجه أمام الأجنبي لا ليشحذ ولكن ليكسب ... وعلينا نحن أن نتسامح اذا كان الفرق قليلا بينه وبين الأجنبي . أما الفرق الشاسع فهو يضر بسمعة البلد بدلا من أن ينفعها ، وهو يضر بالتاجر نفسه ، ولن يكون الاقبال عليه إلا كالهشيم تذروه الرياح .

فى الزعامة السياسية

فى مثل هـذا اليوم من عام ١٨٥١ كتب « جيزو » المؤرّخ الفرنسى السياسى الكبير الى «الكونت دى جارنالك» يقول : « ينبغى أن أكون أشدّ الناس تفاؤلا حتى لا أيأس من المستقبل » .

وهذه الكلمة يجوز أن تكون شعار الرجل السياسى، سيما ذلك الذى يضطلع بمسئوليات كبيرة قد تتعلق بمصير أمة .

وقف يوما «سعد زغلول» وقد تخلى عنه أكثر أنصاره ، وكأن القدر نفسه قد تخلى عنه، فلم ييأس بل صمد ، وانجلت أزمة الأنصار عن أنصار جدد ليسوا دون السابقين قوّة .

والحياة السياسية كلعبة الروليت تظل تدور . فالكاسب فيها اليـوم خاسر غدا . والعكس بالعكس . لكن السـياسى الفطن عند ما تسنح له الفرصة لا يدعها تمر بل يقتنصها بعزم

وحزم . وهذه الفطنة من مميزات الزعامة ، وهى مزيج من الذكاء والحكمة وبعد النظر والصبر الجميل .

وإذا لاحظنا أن كثيرين من الناس تضيق بهم الحال ماديا فينتحرون . أو روحيا ، كأن يحبوا من ليس يحبهم فينتحرون أيضا ، إذا لاحظنا أن كثيرين يذهبون بمحض إرادتهم ضحايا أول صدمة لهم فى الحياة ، عرفنا المتاعب التى يلقاها الذين يتصدّون للخدمة العامة . حتى هتاف الناس لهم على جوانب الطرقات لا يدفع إلا جزءا يسيرا من متاعبهم ومشاغلهم .

كل خطوة وكل كلمة يحاسبون عليها حسابا عسيرا .

خصومهم يحيلون قوتهم ضعفا وأناتهم ترددا وصبرهم جبنا .

اذا اجتمعوا أصحابا للمشاورة ، قالوا مؤامرة ، واذا انفضوا إخوانا ، قالوا تشاحنوا ودب فيهم دبيب الشقاق ! ...

فالرجل السياسى الذى ينافح عن مبدئه بإخلاص وشهامة هو بمثابة الرجل الواقف فى حقله يدفع الماء وقد سال على جوانبه بشدّة من اليمين والشمال .

حتى الأنصار، ليسوا دون الخصوم إرهاقا لكبار الرجال .
فعنــد ما يكون الخصوم فى الظل يجىء الأنصار فى الشـــمس يلحون على الرجل الســـياسى فى طلب أيام الصــفاء . يرون ذلك حقا لهم غير منازع . يقولون : إن من يعطى باليمين له أن يأخذ بالشمال .

فحياة الرجل السياسى ليست مما يحسد عليه إلا اذا حسد على حياته الجندى الساهر فى الميدان بين الرصاص والقنابل .

ولكن على الذى يشعر بأنه أوتى رسالة خاصة أن يبلغها ، وله أجر القدّيسين المصطفين .

اتحـــدوا !

كل من راجع تاريخنا فى الفـــترة بين ١٥ مارس ١٩٢٢ و ١٥ مارس ١٩٣٤ شعر بالحزن والأسى وقامت أمامه لوحة سوداء، لأننا لم نعرف كيف نقدّس دم الشهداء ونحتفظ بكرامة التضحيات التى بذلت فى سبيلنا، وفى سبيل الأجيال القادمة .

فكل هذا الاستقلال هو نتيجة نهضة عامين اثنين كنا فيهما مثالا للأمم فى الجهاد والاتحاد، وكنا فيهما مثالا للبــذل وحب الوطن والفناء فى سبيله، فانظروا وقارنوا بين جهاد عامين قبل الاستقلال، و بين تخبط اثنى عشر عاما بعد الاستقلال . نسير على غير هدى، ونتجه الى الحكم كأنه هو كعبتنا من دون أمتنا، وليست لنا سياسة معينة مرسومة .

فنحن قد اندفعنا بشهوة الحكم الى أحضان الانكليز وترامينا على أقدامهم بمذلة لا تليق بالأمة التى بذلت أولادها المساليين قرابين فى سبيل الاستقلال . فلما اعترفت انجلترا تحت ضغط

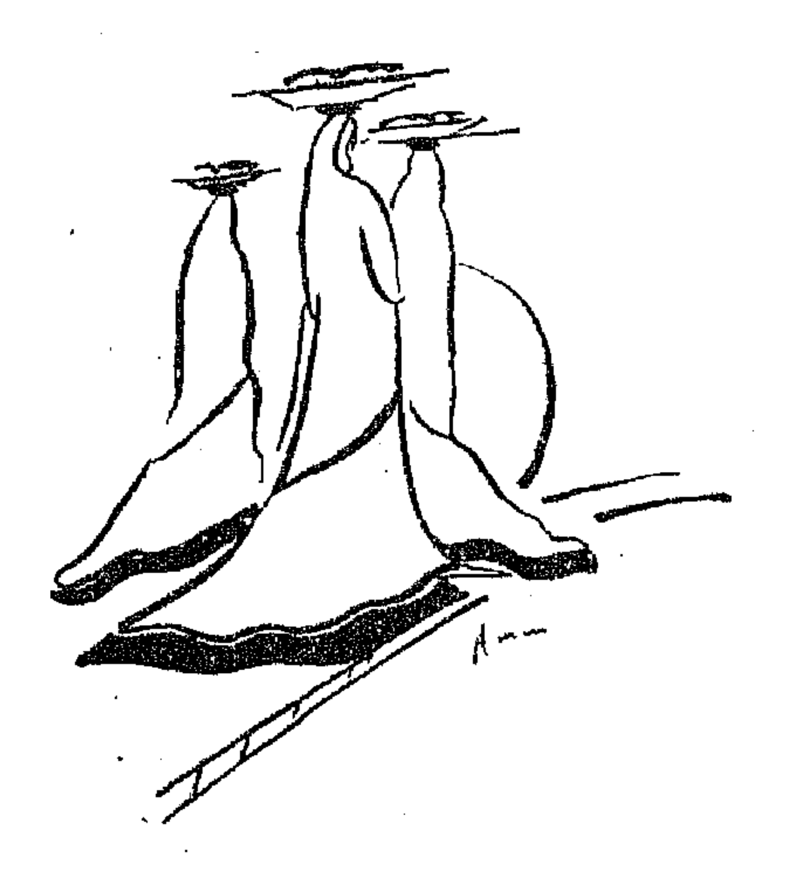
نهضتنا وقوة تضحيتنا بهذا الاستقلال رحنا نتزاحم على عشرة مقاعد ويود كل امرئ لو شرب من دم أخيه حيا . وهذا هو الفشل المروع . ولقد نلنا من أنفسنا فى هذه الاثنى عشر عاما أضعاف ما نال الانجليز منا فى نصف قرن . فنحن لم نعد كتلة واحدة أمام الانجليز، ولا أمام الأجانب، ولا أمام برنامج معلوم وخطة مرسومة نمضى فى تحقيقها مهما كلفنا الأمر . وكل محاولتنا السياسية والمالية والقضائية والاجتماعية بمثابة الترقيع فى ثوب خلق قد اتسعت خروقه على الراتق . فروحنا المعنوية التى انتصرت بالأمس ودفعتنا نساء ورجالا الى الوقوف عزلا أمام الخصم المسلح قد ضعفت وخارت وذهبت بريحها الأهواء، وأصبح سلاحنا النفسانى الذى غامرنا به وانتصرنا مفلولا صدئا لا يصلح لحرب أو طعان .

ليس الانكليز هم الذين منحونا ما نحن فيه من خير حتى نترامى على أعتابهم ونتزلف الى رجالهم ونتوسل الى مقاماتهم بكل الوسائل . بل إن قلوبنا هى التى ثارت وهى التى فازت بقوة الحق وعون الله . فكيف يضعف إيماننا فى أنفسنا وكيف

نتولى عن عشائرنا وتنتصر منا الأنانية، حتى ينفصل بعضنا عن بعض ونتكايد ونفرح لتولى الانجليز عن حزب ونصفق لابتسام الانكليز لحزب آخر ونعد رضا الانجليز أو غضبهم هو أقصى منانا؟ ... « وكل حزب بما لديهم فرحون » !

فلنذكر هذه الهزيمة المنكرة فى يوم استقلالنا لنعرف ضعف مركزنا وسخرية القدر والخصم منا . ولنذكر تلك الدماء الزكية التى سفكها الشهداء من أجلنا فدسناها فى سبيل شهواتنا .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .



ادبیات

الأهرام

عند ما يتجدد شباب « الأهرام » — كما تراه اليوم — تتجدد به عزائمنا ؛ ونقف فى هذا المعترك الهائل الذى اسمه «الصحافة» فخورين بهذا الميراث العظيم يقوى على الأيام ويزيد ويتضاعف ، حاملاً على جبينه سمة معجزة الدهر ورمز حضارتنا القديمة ، كما ان « الأهرام » رمز من أجمل رموز حضارتنا الحديثة . وكان الفيلسوف الفرنسى « لابولاى » يقول : «حدثنى عن صحافة قوم أخبرك بمكانهم من المدنية » .

فاليوم عند ما نقلب النظر فى صحافة أوربا نجد «الأهرام» فى حجمها الحالى وطبعها وتنظيمها ومادتها تقارع كبريات صحف الغرب . فهى دنيا نتمتع بمتاعها دون أن نتكبد متاعبها . تذرع بها المعمورة طولا وعرضا مع مراسلين من أنحاء العالم كافة لاعمل

* بمناسبة صدوره فى قطع وحجم جديدين وبه صفحة كاملة مصورة .

لهم إلا اقتناص كل طريف وسبق سواهم فى إرساله، دون أن تنتقل عن كرسيك أو تبذر أموالك . يشترك فى تقديمها لك على هذه الصورة شيوخ وشباب . شيوخ بتجاربهم وحنكتهم وحكمتهم وشباب بحماستهم وتطلعهم واطلاعهم . شيوخ بلتهم أهوال الليالى والأيام، وعركتهم حوادث الدهر : من الباسمة كالزهور الى القاصمة للظهور . وشباب تواقون للجديد، راغبون فى الحكمة، دائبون فى العمل . وهؤلاء يأخذون عن أولئك كل يوم أمثالا فى الحلم وسعة الصدر والجلد والتجدّد والفطنة وحب الصنعة حبا يستهينون من أجله بصحتهم وحياتهم . والشيوخ يكملون الشباب والشباب يتممون الشيوخ . فهو تعاون مجيد.

فاليوم إذًا معدود من مفاخر أيام نهضتنا . ولست أنظر الى الأمر كعضو من أسرة « الأهرام » وانما كعضو فى المجتمع المصرى . لأن هذه الصحيفة، عند ما تفتح اليوم فى أى مكان فى أوربا أو فى الشرق من أقصاه الى أقصاه على صفحاتها الأربعة عشرة، كفيلة برفع اسم مصر وزيادة كبريائها الوطنى؛ وليس فى فرنسا نفسها اليوم صحيفة كالأهرام. فالصحافة من أهم مقاييس

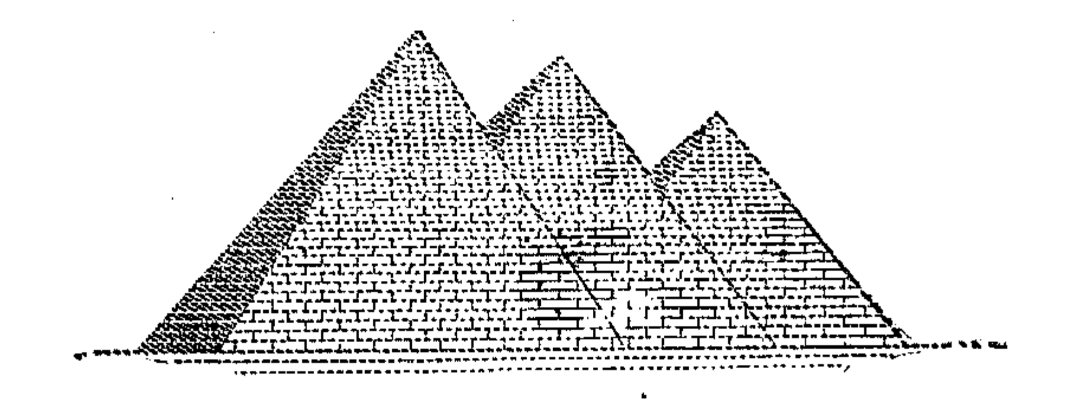
الحضارة، وقد ارتفع بنهضـة «الأهرام» الجـديدة مقياس حضارتنا .

نعم، نفخر بذلك، نحن الشباب الذين احترفنا هذه الصناعة النبيلة بثقة فى الغد واطمئنان الى المستقبل، لأننا نعلم أنها من أشرف الحرف، وأن سرّها ليس براعة الأسلوب، أو سـعة الاطلاع، أو رجاحة العقل، أو دقة الملاحظة، بقـدر ما هو الأخلاق . فنقول ما نعتقده بقوّة وشجاعة دون وقاحة، ونصمد فى الحق للحق نفسه دون تهيب أو تردّد أو ارتداد، ونثبت حتى النهاية، ونغتفر للذين يشتموننا لأنهم ضعاف عجزة عن اللحاق بنا أو الارتفاع الينا . وليست تنطبق نظرية بقاء الأصلح على قوم مثل انطباقها على الذين يشتغلون بالصحافة، فان عشرات الذين يفدون عليها من باب يخرجون من الباب الآخر . وإذا أصروا على البقاء فانما ليكون نصيبهم الخمول وأداء أتفه أعمالها، أو يعيشون ويموتون دون أن يبقى من بعدهم سـطر واحد . على حين أن الصحفى الموهوب مصوّر ومفكـر . وما تصويره وتفكيره إلا لفائدة الجماهير التى يعيش لخدمتها . أما الشهرة التى يكتسبها

فهى عبء ثقيل ما إن يناله حتى يزهد فيه و يمله و يود لو كان قد خلق خلقا آخر .

وهـذه الصحافة الرشـيدة التى نخـدمها هى التى عناها « جفرسون » الرئيس الثالث للولايات المتحدة عند ما قال : « لو خيرت بين دولة تديرها حكومة أو دولة تقـودها صحافة لاخترت الثانية » .

وهذه هى الصحافة التى نعنيها ونفهمها ونحبها ، ونعمل على إعلاء كلمتها ، وتدعيم نفوذها ، ومد سلطانها ؛ وكلمتها كلمة الأمة ، وسلطانها مستمد من سلطة الأمـة ، لا نضن بشىء فى سبيلها ولو ذهبنا ضحيتها .



لا يوم بغير سطر !

كان فى بيت الكاتب الفرنسى العظيم أميل زولا لوحة محفور عليها باللاتينية Nulla dies sine linea وترجمتها الحرفية « لا يوم بغير سطر » أى لا يجوز أن يمضى عليه يوم واحد دون أن يكتب ولو سطرا واحدا . وكان هذا منه مبدأ متواضعا لأنه كان من أكثر الكتّاب إنتاجا . كان يكتب فى اليوم ألف سطر . وخلف لنا عشرات الكتب الممتعة والقصص الشائقة . ولكن هذا المبدأ المتواضع هو الذى يجب أن يكون للشباب شعارا . فان الكثيرين منهم فى المدارس يتركون كتبهم ودروسهم الى قبيل الامتحان ، ويتركون حياتهم نهبا مقسما بين الفراغ والفوضى .

وقديما قال الشاعر العربى مثل هذا تماما :

اذا مرّ بى يوم ولم أستفد يدا
ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى

فتنظيم العمل هو من أهم أسباب النجاح فى الحياة . والمثابرة عليه كل يوم دون انقطاع فيها سر السلامة ؛ لأن التعب القليل أو بعض الضجر والسآمة ، وطلب الراحة الكاملة والوعد بالتعويض غدا هو بمثابة تلقيح النفس والعزيمة بالخور والفتور .

فالنفس معرضة للمرض أكثر من الجسم . فاذا كنا نتقى البرد والزكام والتراب حرصا على صحة الجسد فكيف لا نتقى الآفات التى تنتاب النفوس وتعمل على انحلالها ؟

وليست العبرة أن نبدأ فنسرف ثم نحط تدريجيا فى مهمتنا ، بل أن نتدرج كل يوم ونزيد مجهودنا حتى لا يكون لتقهقرنا تأثير سيئ فى روحنا المعنوية .

هذه هى الدروس التى يمكن أن يتلقنها الطفل منذ أيامه الأولى . فالآباء والأمهات يستطيعون أن يسدوا يدا عظيمة الى أولادهم وبلادهم اذا نظموا عزيمة الطفل منذ أوّل عهده بالوجود ، ويمكنهم أن يجعلوا منه رجلا عاملا بدلا من أن يجعلوه طول حياته طفلا ولو تدلت لحيته على صدره .

سهـــم الشرق

ظهـر « سهم الشرق » وهو كتاب فرنسى للكاتب المعروف پول موران . بطل هـذا الكتاب « ديمترى » رجل روسى مبعـد من بلاده جاء فتوطن لأمـد طويل فى باريس وأثرى وطاب عيشـه . وفى ذات يوم يركب الطيارة فى رهان من باريس الى بوخارست ، ويقوده صديق الى «بسارابيا » على تخوم رومانيـا وروسيا الجـديدة ، وهنالك يرى الريف الروسى ، ويعود فيحتك بالفلاحين السذج ، ويستنشق أريج مسقط رأسه وعطر زهور البرية ، ثم يسمع نورية تنشد أغانى روســية فيشعر بأن قـد استيقظ فى روحه حنان لا يوصف ، هو مزيج من القوة والقنوط لأنه الحنين الى الأوطان ؛ حنين رجل مبعـد عن بلاده الى بلاده ... فذلك الرجل الذى صار مواطنا فرنسـيا عاقلا حكيما مثريا وقد ربتـه فرنسا وأنضجته وأغنته آن أوان انحلاله وذوبانه وعودته الى أصله ، وظهر فيه

ثانية العنصر السلافى الغلاب ، وانحلت العقدة التى كانت تربطه الى الحياة . ذلك الرجل الذى كان يعيش على فلسفة أبيقور ، ويتمتع بصباحه ومسائه ، ويشغل نهاره وليله بالعمل واللذة فى هدوء ، قد آن له أن يختفى ليفسح المجال للروسى الصميم الذى ألقت به الموسيقى فى قلق وحشى ، وأحدثت عنده انجذابا محزنا نحو الأرض التى أنبتته ثم لفظته وألقت به خارجها شريدا ...

أجل ! ... لقد تجاوبت أضلاعه بنداء روحى قوى متكرر ، يتردد مائة مرة ومرة ، حتى أصبح لا يقاوم ولا يدفع . فلبى النداء ... وطلق حياته العصرية ورفاهيته وقصوره وسياراته ، بل وطلق امرأته الأمريكية وعاد الى وطنه مجردا من كل شىء ... لأنه فى روسيا لا يوجد غنى وفقير .

هذا رجل أدرك تفاهة الحياة وعدم فائدتها على الوجه الذى كان قد ارتضاه لنفسه ، وخرج عن شخصيته الزائفة ، واستعاد آخر الأمر نفسيته المفقودة . استعاد الاحتكاك بروحه ، روحه التى كأنها كانت فى الغربة قد ضلت ثم عادت الى الوطن فاهتدت ...

جيتـــــــــه

أقرأ الآن « جيته » لأكتب عنه شيئا « للاهرام » . تغرقني قراءته في معين عذب ، وتنسيني كل شيء حتى الكتابة ، وتجعلني أتساءل : هل توجد في الدنيا لذة تفوق القراءة ! ؟ أعتقد أن الرجل الذي يحب القراءة هو من أحباب الله ؛ لأن القراءة تنقل الروح الى عالم ممتلئ بالأرواح التي هي في حاجة الى الوجود بينها ومناجاتها . أشعر وأنا أقرأ غرام جيته كأنني مغرم ، كأنني أرى ذلك الجمال الذي عشقه وفهمه ، وأنني لو وجدت أمامه لحكم على بما حكم عليه من دموع ولوعة ووحشة حتى في الهناءة ؛ فقد كانت هناءة الحياة تثقل عليه وتصيبه بنوع من الكآبة ، وكانت القراءة أكبر ملذاته . كان يختلي بالكتاب كأنه أعز صديق ، كأنه الحبيبة . وكان الوسط الذي حوله يبدو له غريبا لأنه لا يفهمه ؛ فان الناس يكرهون الشعراء ويضحكون منهم ، ولو أتيح للناس أن يروا لمحة من عالم الشعر والتأمل

لاندهشوا من تفاهة العالم الذى يعيشون فيه ، يأكلون و يلعبون وينامون ...

إن الكاتب والشاعر كالمتصوف . فهذا المتصوف المنصرف الى التأمل والانجذاب ينظر الى هذه الدنيا نظرة الغريب عنها الساخر منها ، الذى يعلم أن وراء ذلك ما هو خير وأبقى .

خذ منه كل شيء ، خذ منه المال والحب ، بل خذ منه نور عينيه فانه سيستمع الى من يتلو عليه الكتب ، من كتاب الله الى كتب البشر ، فيشعر أن كل عرق فيه ينبض بالحياة ، وأن الدنيا ممتلئة بالنور والحبور ساعة فهو بها سعيد ، أو أن الدنيا عبث كلها وتعب ، فهو غير معنى بها أو مقبل عليها ، فهو سعيد أيضا .

يقول جيته : « كل المثل العليا لا تحول بينى وبين أن أكون أنا نفسى كما خلقت ، أعنى طيبا ورديئا كالطبيعة » .

لقد ظل هو نفسه ، صدقها ورسمها لنا كما خلقت . كانت دموعه حارة ونحن نراها الآن مرأى العين ونحس حرارتها لدى

قراءتنا « فرتر » . و « فرتر » هو جيته . فهل يستطيع الكاتب المصرى أن يصدق نفسه والناس ، و يطلعهم على خبيئته لا يحابى ولا يغش ولا ياون حياته بألوان براقة أو كئيبة ؟ لا يتصنع الفرح ولا الحزن ، و إنما يكتب ما يشعر به من مشاعر ، ويذكر ضعفه على علاته مهما كان بشعا ، و يذكر قوته كما هى إن كان قويا .

لنفرض أن كاتبا مصريا عاش فى أوروبا ، وكان له حب عظيم ، فهل يستطيع أن يكتب اعترافاته ، ويرسم غرامياته ، ويبوح بكل ما خالج قلبه وما انضمت عليه جوانحه إذ ذاك ؟ هل يستطيع أن يقول مثلا إنه كثيرا ما كان لا يجد طعاما ، ومع ذلك كان أهنأ بالا وأسعد حالا من أيام جاءت بعد ذلك يلعب فيها بالمال لعبا ولا يجد للعيش طعما .

كلا ! وعلى ذلك سيظل كل واحد منا مثلا أعلى ، وليس كما خلق طيبا ورديئا كالطبيعة . ولذلك لن يكون منا بعض « جيته » ولا ظل « جيته » .

زوجة نبيلة

نعود الى « جيته » . تركت ما كتبه عنه اميل لودفيج ، وأخذت كتاب «چان مارى كاريه» الأستاذ بالجامعة المصرية . هكذا تكتب السير وإلا فلا ! . هل يوجد أبدع من هذا العقل الفرنسى المنظم ؟ هل توجد أبدع من طريقته فى البحث والاستنتاج ؟

وقفت عند صفحة منه وتأملت طويلا . وذكرت قاسم أمين الذى كان ينشد امرأة لها جمال المرأة وعقل الرجل

انتصر نابليون فى معركة « ايانا » المشهورة ووصل غداة فوزه الى فيمار حيث تقام الآن أعياد «جيته» العظيم التى يشترك فيها العالم بأسره ، حتى مصر . وصل فى موكبه الظافر الى قصر دوق فيمار الذى كان فى خدمة ملك بروسيا عدو نابليون . وكانت فى أعلى سلم الشرف امرأة تنتظر الفاتح العظيم الذى دوّخ الدنيا دون أن يصيبه دوار . وكانت متدثرة بمعطفها ،

طويلة القـامة ، نحيفة ، نبيلة التقاطيع ، على وجهها شحوب الحزن ومسحة الهدوء .

فصاح فيها نابليون بصوت صادع : من أنت؟ فأجابته : « أنا دوقة ڤيمار » فقال لها : « إننى أرثى لك ، لأننى سأعدم زوجك! » .

ثم دخل الجناح المعدّ له فى القصر ، وتعشى وحده . ولكنه فى اليوم التالى خفت حدته قليلا فقبـل الغداء مع مضيفته .

وكانت هى فى ثوبها الأبيض الناصع وشالها الحريرى الأسـود على كتفيها العاجيتين تنظر بصفاء واستسلام الى حكم القـدر . وجعل هو يروح ويجىء فى الغـرفة كأنه محموم ، ويداه وراء ظهـره ، ثم فاجأها قبـل الجلوس الى المـائدة بقـوله :

— ولكن كيف كان زوجك من الجنـون بحيث تجرأ على محـاربتى ؟

فأجابته : لو أنه لم يفعل لاحتقرته جلالتكم .

— وكيف ذلك ؟

— إنه منذ ثلاثين عاما فى خدمة ملك بروسيا ، فهل يتخلى عنه فى اللحظة التى عليه فيها إن يواجه خصما مهيب الجانب بجلالتكم ؟ أفلا يكون ذلك جبانة منه ؟

فبهت الامبراطور لهذا الجواب اللبق الجرىء الجدير بها وبه ؛ وأبدى على الطعام دماثة ولطفا ، وأصدر أمره بالعفو عن الدوق إذا استقال للحال من وظيفة القيادة وعاد الى أملاكه ، وختم ذلك بقوله :

— إنك يا سيدتى أشرف امرأة عرفتها ، فقد أنقذت زوجك ، وإنى أعفو عنه ، وإنما يرجع ذلك اليك ، أما هو فلا يستحق ، لأنه مسىء .

وعندما عاد الى جناحه فى القصر همس فى أذن أركان حربه : ها هى ذى امرأة مع ذلك لم تخش مدافعنا المتين

أما الذى جهله نابليون فهو أن هذه المرأة كانت أعظم من ذلك شجاعة ، كانت تبدى بطولة فى حياتها الخاصة ، وعظمة

نفسانية ليست دون ذلك . لأنها كانت امرأة شريفة صابرة على ماقدّر لها ، فقد كانت تعرف أن زوجها يخونها علانية ، وله خليلة ممثلة ... ولد له منها ولد ، كتب عنه «جيته» خطابا يبشر به الأمير بقوله : « أنه شبيه جميل ، نضر الوجنتين ! » . وكانت تترفع عن الشكوى وتأنف أن تشير فى حديثها مع زوجها الى خيانته بكلمـــة !



شـــوقى والجميـــل

عنـد ما فرغت من قراءة الدراســة* التحليلية الشائقة التى وضعها الأديب، الشاعر، المفكر، أنطون الجميل بك، فى شوقى أمير الشـــعراء خطرت لى مقالة « ما كولى » فى « ملتون » . وليس ذلك راجعا الى أن ثمت وجها للمقارنة بين ملتون وشوقى . فان القدر قد حرم الأول كل شىء، وحبا الثانى بكل شىء . ولكن لأن الأدب العالمى مدين لمـا كولى بتلك الصورة الخالدة التى حفظناها فى المدرسة عن ظهر قلب .

فشوقى ككل نابغة له من الأعداء بقدر ما له من الأصدقاء . وبيـــن هؤلاء وهؤلاء يقف الكثيرون حائرين بين جيشين متقاتلين، أحدهما يجرّده من أهم صفاته، والآخر يلثم طرف ثوبه بخشوع كالقدّيسين حتى يجىء المنصف الحكيم فيعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

---

* شوقى — بقلم أنطون الجميل بك — مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩٣٣

فرسالة الأستاذ الجميل بك هى ميزان الإنصاف لشعر شوقى . موازينه الدقيقة مأخوذة من فطرة الناقد الشعرية ، ومن ثقافة واسعة عربية غربية ، وحساسية مرهفة ، وذوق سليم ، ونظرة عميقة صادقة فى الأدب والحياة .

لقد تجول المؤلف المجيد فى تلك الجنان الفيحاء الفسيحة الأرجاء التى غرسها شوقى ؛ وتجوّل نخبير بسر الأشواك وسر الزهور ؛ وجمع لنا بعد ذلك طاقة نضرة فى نحو مائة صفحة جمعت نحو أربعمائة بيت شعرى ؛ ونمقها بيد بارعة وذوق سليم ؛ وبذلك أبرز لنا فن شوقى وفضل شوقى دون أن يحملنا عناء الجهد أو عذاب التشكك .

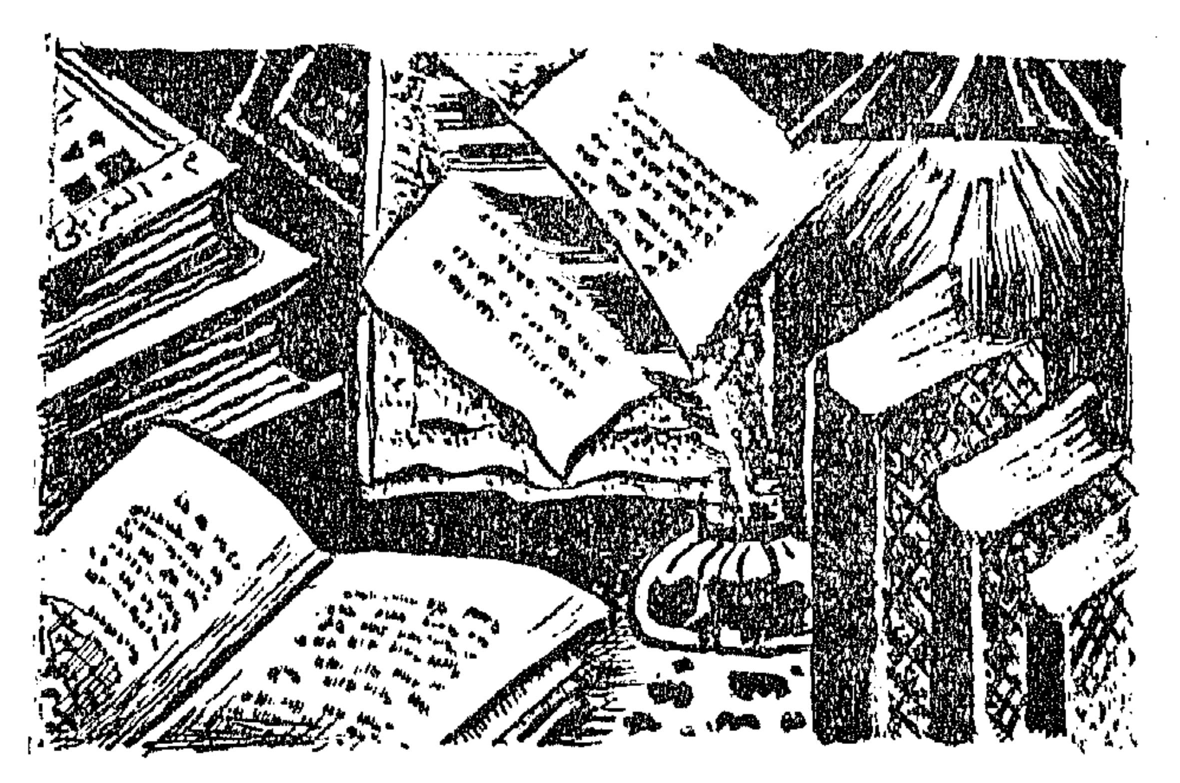
هذه الطاقة اليانعة التى يقدمها الينا الجمّيل لا ترضى العين وتصقل النفس فحسب ، بل إن كل زهرة منها على جمالها عظة ودرس . نجد فيها معنى الشعر وقيمة الشاعر ، ومواقف الروع ، ومواقع الحروب ، ومواطن الطمأنينة والابتهاج ، ونسمع فيها أوتار الدين والايمان ، والتسامح والوطنية ،

والإخلاص والحرّية، والحكمة والهوى، وتمجيد السيف والقلم، والشورى والدستور، واستنهاض الشباب وحثهم على العمل والاقدام، وهديج الأمل الموموق من مصر في مستقبلها، وغناء في وصف الحارات الشرقية . ونرى فيها لوحات رائعة للنيل والأهرام وأبي الهول وأنس الوجود ودمشق ولبنان ...

ورسالة الأستاذ الجميل بك هي أنموذج بديع للدراسات التحليلية القائمة على الأصول العلمية . هذه الأصول التي تنكر الغرض من تحامل أو ملق . وهي المذهب الأمين الذي يجب أن يعتنقه الشباب المتأدب ويأخذه عن أهله . وحبذا لو درس جميع الطلبة هذه الدراسة فهي تعرفهم بشوقي ومميزات شاعريته ومميزات عصره . وهي لوحة اجتماعية لمصر في نصف قرن ، وهي مثال لأدب النقد جدير بأنطون الجميل ، فهو جدير بأن يحتذى .

السينما والكتاب

من أخطر الأمور على أخلاق الفتى أو الفتاة أن يذهب أحدهما الى السينما مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع ثم لا يقرأ كتابا



واحدا كل ثلاثة أشهر . فان الجيل الذى ينشأ هذه النشأة يهدد بلاده بالانحلال . السينما تسلية وليست ثقافة . والشاب أيا كان اتجاهه فى الحياة بحاجة الى الثقافة، سواء أكان عاملا بيده أم عاملا بفكره، سواء أكان مدرسا أم طبيبا أم محاميا أم مهندسا

أم موظفا ، فإن الثقافة هى التى تعرفه بمناطق جديدة ينهل الذهن منها غذاءه كما ينهل النحل من الورد غذاءه . والفتاة المصرية يجب أن تطّلع على آخر الكتب وأن تنقدها لنفسها وآرائها وأن تكوِّن لنفسها فكرة عن الموضوع وعن الكاتب ، فلا تغتر بالأسماء الضخمة بل تستقل فى رأيها دون غرور . وتكون تلك الكتب الجديدة موضع أحاديث الصالونات المصرية بدلًا من أحاديث الفساتين البائخة ، ولا يجوز للفتاة المصرية الجديدة أن تكون دون العاملة الأوربية الصغيرة الفقيرة ، فإن أولئك العاملات لا ينقطعن عن مطالعة الصحف اليومية والمجلات الأدبية والكتب الجديدة . وهن فى حالة عجزهن المطلق عن الشراء يلجأن الى مكاتب البلدية فيجدن فيها كتبا وإن لم تكن جديدة فهى لا تقل عنها فائدة ولذة . وهكذا لكل فرد فى البلاد الحية ميزانية للثقافة مهما كانت ضئيلة .

وكل من الوالدين مسئول فى هذا البلد أمام الله وأمام الوطن عن وضع الكتب المختارة فى أيدى بنيه منذ نعومة

أظفارهم. فانه بذلك يحصّنهم ويحميهم بأحسن مما تحميهم التعاويذ والتمائم، وبأحسن ممـا تحميهم العضلات القوية المفتولة .

الكتاب الجيد أفضل ألف مرة من الفلم الجميل . خذوا أى فلم مهما كان جميلا ودلونى : أليس فيه ناحية من الاغراء والابتذال الذى لا يتفق وحشمتنا الشرقية وحياءنا الفطرى؟! ألسنا فى أحوال كثيرة نحمد الله على أنه ليست لنا بنات تشهد تلك الأفلام التى تبيحها وزارة الداخلية عندنا إباحة تدعو الى أشدّ العجب والاستنكار ؟ !

فيجب أن يتذوق أبناؤنا القراءة منذ الصغر، فانهم سيرون تجاريب الدنيا منبسطة أمامهم مبذولة لهم بسخاء . وإذا نظر طالب العلوم الى كتاب الأدب بنفور واستصغار فهو دليل على حماقة تستحق الرثاء، لأن طالب العلوم عند ما يتعصب ضدّ الأدب، أو طالب الآداب عند ما يتعصب ضدّ العلم، يكون كلاهما قد دل على أنه أبعد مايكون عن العلوم والآداب جميعا.

والقرش الذى يدفع فى الكتاب هو قرش مدخر طول الحياة. لأن الكتاب الجيد يظل طول العمر، كالقلب الطيب، منبع الخير.

المعـــلم الجـاهل

سـيارات وزارة المعارف الكبيرة تجوب الشـوارع في الصباح نافخـة في أبواقها، لتحمل البنـات والأطفال الى المدارس والرياض، وكأنها تحمل الزهور والورود .

إنهم أسعد حظا منا . لم يكن في زمننا سيارات ولا رياض أطفال . كان «الوجيه» فينا يأتي راكبا حمارا يتعثر في الوحل صيفا من ماء الرش، وشـتاء من ماء المطر . وكان الذي يأتي في مركبة بحصان واحد أبيض يقبل غارقا في ركن من أركانها ويخرج يتعثر في خجل وغرور .

إنهم اليوم أسـعد حظا لهذه الديمقراطيـة الشاملة، فقد أصبحوا يركبون سـيارة واحدة ويتزيون بزي واحد، وتمتزج عواطفهم ولا تتضارب .

وهم أسعد طالعا كذلك لأن لهم معلمات رقيقات ومعلمين فضلاء لا يعرفون ضرب المساطر ولا ضرب «الأقلام» ! . .

وما أنس لا أنس يوم دخلت عام ١٩٠٨ المدرسة الابتدائية (ج) الأميرية فقد كان يوم نحس لم تطلع شمسه . وكان معلم اللغة الانجليزية ، ومعلم الحساب فى الوقت نفسه ، رجلا جاهلا ؛ وكنت قد تأخرت أياما لسبب لا أدريه ، فـارآنى حتى كأنه نشبت بينى و بينه عداوة . (هل كانت قد ضايقته منى مخائل النجابة والذكاء الواعد مثلا ! ؟) وراح يمتحننى فى اللغة الانجليزية ، وكانت لوحة (الألف باء A B) مسندة الى حامل — ولا زلت أرى لونها أصفر فاقعا كوجهه — فسألنى فيها فكررتها . لكنه سألنى بعد ذلك عن (حرف H) ولم يكن يسعنى معرفته إلا اذا ابتدأت — واو فى سرى — أكرر الحروف من الألف حتى الهاء ، فغضب (لبلادتى وجهلى) ! .

ولم يكفه منى أنى لم أكن أعرف ، ولم يرد أن يعطينى فرصة ولو الى الغد لأتعلم ، فصفعنى هذا الـ ... صفع صبيا صغيرا عمره سبع سـنوات أوّل يوم دخوله المدرسة ! كأنمـا كان يجب أن أولد فى لندن ! فنظرت اليـه بكل ما كان يمكن أن تنطق به عيناى ، أنا الصبي الصغير الضعيف ، من شزر واحتقار .

فضايقته نظرتى وأدركها، فأمعن فى النكاية، وأعلن فى الأولاد أن كل سؤال عن حرف أعجز عن معرفته ويجيب عنه أحدهم فله الحـق فى أن (يضربنى قلمـا)؛ فرفع عشرة منهم أياديهم ووقفت أنا كتمثال بارد من الرخام فقد الحس والشعور، لأننى لم أكن أعتقد وجود حيوانات فى المدارس الأميرية .

وكان بعض الصبيان يمسح على وجهى والبعض يضربنى فعـلا .

ولكننى لم أكن أشعر بألم الضرب لأننى كنت قد غرقت فى ألم الاهانة . كم أخذت يومها من «الأقلام» ؟ ! عشرة، عشرين؛ والله ما أدرى ! . أظن بعـدد حروف الهجاء الانكليزية ! .. أما الذين امتنعوا فقد كانوا سلفا أصدقائى . فعدت الى البيت وبكيت طول ليلتى . وأصررت على عدم العودة الى المدرسة، أو على الأقل، على عدم تعـلم اللغة الانكليزية، ومن يومها كرهت الانكليز . أما والدتى فقد جن جنونها وحزنت حزنا شـديدا . فأشارت عليها صاحبة لها أن تلجأ الى السيدة زينب ــ رضى الله عنها ــ فلجأت وتعلقت بشباكها،

وبكت بين يدى ضريحها ، ونذرت ثمن خروف لصندوقها ، ووفت بعد قليل نذرها .

تذكرت كل هـذه الآلام إذ رأيت تلاميذ اليوم وكيف ينعمون . وحمدت الله على تطور التربية وتنور العقول . ولو جاء « حمـدى افندى » اليوم وامتحنته فى اللغة الانكليزية لأريته كيف يكون الصفع الأدبى ! . .

والآن ، وقد مضى على ذلك ربع قرن من الزمان ، فقـد غفرت له الألم الذى انتابنى ، والاهانة التى لحقتنى ، ولكننى يستحيل على حتى الممات أن أغفر له حزن والدتى ...

الهجاص !

ما أقل النـاس الذين يعملون عملهم بإتقان ! وكل الذين لا يتقنون عملهم فى هـذا الزمن المـادّى يخسرون خسارة قد لا يعرفون هم أنفسهم مداها إلا بعد الأوان . وإنى أحب أن أضرب لك مثلا عمليا على ذلك لترى الفرق بين الخلق الشرقى والخلق الغربى ، وان ما طبعنا عليه حتى فى أبسط الشؤون من الاهمال وعدم الاكتراث يكلفنا أحيانا السخرية بنا .

هل رأيت مرة ذلك الرجل المعمّم الذى يلبس جبة زرقاء ونظارة، ويضع فى عمامته قلما من الرصاص ... ويسير وراءه رجل بجلباب قذر جدا يحمل له ورقة من الكرتون عليهـا رسم كف بحبر أحمر ... وهو يدور على المقاهى يقول : «دكتور ! ... البخت ! ... الكف ! ... شانس ! ... علم الكف الهندى على أصوله ! ... » ويتمايل عجبا واختيالا بمهارته فى الكلام و ... و «خيابته» فى علم الكف ! ...

هذا الرجل هو من أجهل الناس بهذا العلم . وأول دليل على جهله ذلك الكف الذى رسمه بحبر أحمر ولا معنى له مطلقا . وبالأمس فى بار اللواء، جعل يقول لسيدة أجنبية ويعيد لها القول عن زوجها وحبها وأولادها وحياتها . وبعد ربع ساعة فى هدير ورغاء كانت خلاله تهز رأسها إعجابا بعلمه الغزير قالت له « لقد صدقت فى كل شيء ... بس أنا مش متجوّزة ! » .

وانظر الآن اعلانا ظهر يوما ما فى صحف باريس : « السر العظيم ، الطريقة المضمونة للنجاح فى الحياة والتأثير فى عقول الآخرين وإعدادها لتكون فى جانبك وترتاح اليك، والأمر يرجع الى تيار حيوى موجود فى جميع الناس، ولكن العالم المشهور فلان ... هو وحده الذى يعرف استخدامه . وهو يعلمك ذلك مقابل عشرة قروش ... وقد أصبح من الآن فصاعدا فى الإمكان أن يقال : ان الذين لا ينجحون فى أعمالهم ليس معهم عشرة قروش ! » .

فانظر مبلغ ما وضعه هذا الرجل فى اعلانه من الذكاء والفطنة . ولست أشك فى أن الذين بذلوا القروش العشرة

عن طيب خاطر كثيرون جدا . لأنه يوجد فى كل أمة أناس لا يحصى عددهم يبحثون عن وسائل النجاح ، وهم لا يعرفون استعدادهم وماخلقوا له ؛ فيتعللون بالخرافات .

ولكن مقابل هذا الرجل الذكى الفؤاد نرى ذلك «الهجاص» يخب فى جبته وقفطانه متشدقا بكلمات مضحكة يكررها بذاتها لكل الناس ويفقد بذلك كل ثقة فى معرفته ، مع انه لو كان قد انعكف شهرا واحدا على دراسة الكف لعرف هذا الفن البسيط وأتقنه ، وكان يستطيع أن يقول فعلا أشياء حقيقية تسترعى النظر والاهتمام حتى من الناس المتعلمين .

والخلاصة : ان شيئا من الصبر الجميل يمكننا من اتقان ما انقطعنا له ، ويجب أن نحب هذا الذى نعمله وأن نقتنع بأنه الخير كله وأن نؤمن به ليكون كاملا .

الشـــرق والغـــرب

نشر كاتب ظريف فى إحدى زميلاتنا مقالا استهله بقوله : انه يضحك ملء شـدقيه من أوربا ثم يضحك ملء فمـه من فضيلة أوربا ...

وبالطبع سيجد هـذا الرأى أنصارا كثيرين ومعجبين كثيرين . ولست أنا الذى يدافع عن أوربا لأنهـا أوربا أو لأنى عشت فى أوربا ، وإنمـا أنا كمصرى ، أحب وطنى وأحارب الرذيلة وأنصر الفضيلة ولا أتردّد فى قول الحق مهما كلفنى ذلك ، أعتقد أن هذه الآراء غريبـة جدا وليس فى تشجيعها إلا تضليل الناس وتملق الحمق .

إن كل ما نراه فى بلدنا من وسائل التقدم والرفاهية والحضارة هو من واردات أوربا . هـذا النور الكهربائى الساطع الذى نعيش فيـه ، هذا التليفون الذى يربطنا بأقصى البلاد ، وهـذا التلغراف وهـذه السيارة وهذا الترام وهذا القطار وهذه البواخر

وهذه الملابس وهــذه العلوم وهذه الفنون وهذه الأدوية وكل شيء! كل شيء هو من صنع أوربا ووارد أوربا .

فنحن لا نستحى من أن نمدّ أيدينــا الى أوروبا فى كل شيء، لأن الانسانية تتجاوز التخوم وحدود البلدان وتصــل القطب بخط الاســتواء، وأمس صعد الأســتاذ بيكار مدى ألوف الأمتار فى الهواء مجازفا بحياته من أجلى وأجلك؛ وكذلك مدام كورى التى مات زوجها المنقطع معها للراديوم تعمل فيه مع ابنتها من أجلى وأجلك ، وهؤلاء الذين قد انقطعوا لدراسة الميكروب ووصف الوقاية منه والعلاج له هم أصحاب الفضائل الحقيقية التى تهزأ بها وتضحك منها .

فعند ما نعــرف كيف نصنع أصبع الطباشــير، أو مصلا للحمى التيفودية، أو نورا كنور الكهرباء، عند ما نعرف كيف نبتكر ما هو دون الطيارة أو زبلين، عند ما نعرف شيئا من هذا أو من مثله أو مــن بعضه يجوز لنا أن نتحدّث عن فضــيلة الآخرين الذين نعيش عالة عليهم ... أما قبل ذلك فهو افتئات وإسراف ونكران للجميل .

اللسان العف

فى إحدى القضايا الشرعية المرفوعة من سيدة على ضابط قدر علينا أن نطلع على خطاب منه اليهـا تقشعر من وقاحتـه الفضيلة وتولى الأدبار جزعا . قرأنا فيه جملا وألفاظا لو قطعت يد كاتبهـا لكان العقاب هينا . ويصدر هـذا من رجل هو بمهنته حارس للنظام والأخلاق ! ...

لو كنت قاضيا لحكمت عليه بالسجن والتجرد من رتبته . إن هنالك بعض الضبـاط هم عار على إخوانهم وزملائهم وعار على الأمة جميعا .

أليست هنالك لغة يخاطب بهـا الإنسان زوجته أو حبيبته غير لغـة بذيئة غريبـة فى إسـفافها الى حدّ تترفع عنـه — فى ظنى — فى تخاطبها البهائم ؟ !

نعم توجد . وجهالتهم هى التى تحول بينهم وبينها . وإنما

المخيلة الشهوانية الوضيعة هى التى تتعرض لذكر ما ينبو عنه حسن الذوق وسلامة الطبع . فهم قوم مرضى ولا شك .

وللحب قداسته . فكل من لا يعرف هذه القداسة أو لا يحترمها يسىء الى الحب ويجرم . وهذا الضابط الوقح قد كتب ما كتب وهو يزعم أنه سيكون فقط بينه وبين تلك السيدة . ولكن ها هو الآن خطابه (واخذ رقم فى حافظة) ويتداوله كتاب المحكمة والمحامون والقضاة، ويتنقل حتى يصل الى الصحف . لذلك كان ينبغى أن يكون له من نفسه وازع، وأن يحسب حساب الحب نفسه وحرمة الأنوثة قبل أن يحسب حساب وقوع خطابه فى يد الغير .

ونحن سنضرب له مثلا لضابط آخر يعرف الحب ويدرك أن عمله رجس من الشيطان . ولسنا نقتبس له رسالة كاتب كبير أو شاعر عاشق ، وانما خطاب ضابط انجليزى كتبه فى عام ١٧٤٦ الى زوجته عشية معركة «كولودن» التى هزم فيها آخر أنصار « الستيوارت » وقضى كاتب الخطاب فيها نحبه . وقد وجده بطريق الصدفة كاتب كبير فنقله وهذا نصه :

« حبيبتي

عدت الى معسكري الآن . الساعة تبلغ الحادية عشرة مساء . ليس في روحي إلا الله وأنت .

ولست أستطيع الرقاد قبلما أقول لك إنني لا أشعر أبدا بالتمام عندما أكون مفترقا عنك . ما أسعدني لوكنت الآن بين يديك ! سأذهب للرقاد على أسف دون مسرة أخرى غير تلك التي يمكن أن يمنحها لي ضميري . حمدا لله على سلام الروح الذي يسودني ؛ وعلى المدد الكريم الذي أمدني به شخصك . إن طباعنا جبلت بحيث لا نكون إلا سعداء في الغاية أو أشقياء للنهاية . انك تعطينني كل المسرة التي تستطيع أن تعطيها امرأة أحبها وكل الهناءة التي يمكن أن تهبها رفيقة فاضلة في نفس مليئة بها ، إن في مقدورك إحالتي شقيا أشق مما أستطيع أن أعبر لك لأنه فوق كل تعبير ووراء كل تصور . ولكنني أومن بحقيقة وقوة محبتنا وأؤمل ألا ينتهي إلا بانتهاء الحياة نفسها .

سآوي الآن الى فراشي ولا أدري هل أنام ؟ واذا نمت هل أستيقظ ؟ قد تكون اليوم غفوة الموت . شكرا لله على نعمه الغابرة و إني أسأله المزيد فليباركك الله أنت وولدنا العزيز . و إني لك الزوج المحب المخلص » .

ولكن ثمت فرقا كبيرا أيضا بين عام ١٧٤٦ وعام ١٩٣١ وقد انحطت صلات الناس بعضهم ببعض ، واختفت أجلّ وجوه الشهامة والنبالة . فكيف يسلم من الشر أرق المشاعر وأشدّها تأثرا وهو الحب ؟

الجمـال المصـــرى

غدا يكون بيننا « المســيو دى واليف » على رأس وفـد الصحافة اللاتينية التى تعقد مؤتمرها العاشر فى القاهرة فى ضيافة « الأهرام » .

وهــذا يذكرنى بتلك الشخصية المحبوبة من جميع أهــل الذوق لا فى فرنسا أو أوربا وحدها ، بل فى العالم كله . فالرجل حجة عالمية فى الجمال . آراؤه أحكام . وطوبى للتى يشهد لهـا « موريس دى واليف » . فهو منظم ومدير مسابقات الجمـال التى تجرى فى باريس .

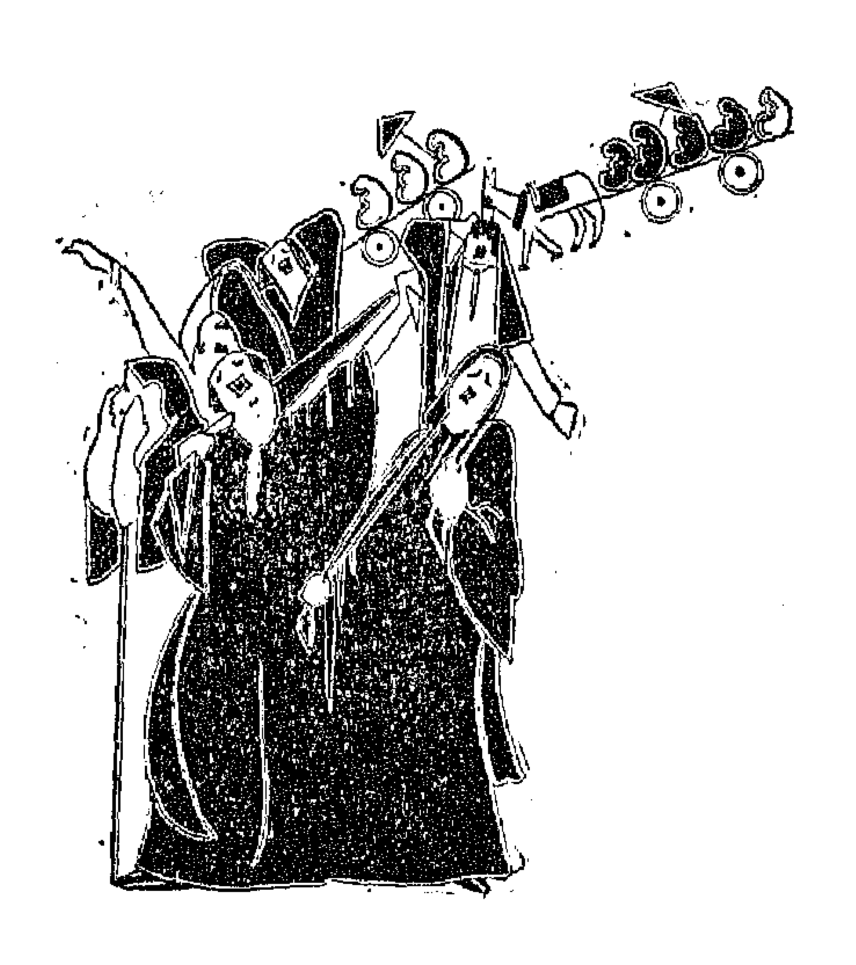
وكنت أقرأ جريدته « بارى — ميدى » بلذة وسرور . فهو صحفى متفنن قدير وستنوب عن هذه الجريدة عقيلته « مدام دى واليف » . فى حين أنه هو يمثل جريدة « الجورنال » الذائعة الصيت . فأنت ترى أن هولاء النـاس يتعاونون فى داخل البيت وخارجه على السواء ، وأن للمرأة شخصيتها ، وأن هــذا

يزيد المحبة بينهما ولا ينقصها ، وأن هذا التعاون الفكرى يزيد فى ثروة الرجل الأدبية وفى كبريائه ، لأن صاحب المرأة الممتازة النابهة هو غير صاحب المرأة الخاملة . وكذلك كم من امرأة تطفئ الذكاء فى عقل الرجل وتخمد الأمل فى قلبه .

ترى ... هل يتاح «للمسيو دى واليف» أن يشهد بطريق الصدفة لمحة من جمال المرأة المصرية ؟ ! هل يمكن أن يقدّر أنه توجد فى مصر فتيات من أجمل بنات الأرض ؟ !

فنحن لا نشترك فى مسابقات الجمال بفتياتنا . ولسنا نأسف على ذلك الآن فان التقاليد ما زالت تحول دون ذلك . ولو أن مسابقة البيچامات فى كازينو سان استفانو هذا العام كانت بذلك نذيرا . وسيأتى يوم نرى فيه الفتاة المصرية تعرض وجهها النحيل الخمرى الجميل ، وعينيها السوداوين النجلاوين العميقتين اللتين تشعان بسحر هاروت وماروت ، وتطفئ كل جمال غربى الى جنب جمالها . ولكن نرجو ألا يدركنا هذا اليوم إلا وقد بلغنا من الكبر عتيا ! .

نهايته . إذا لم ير « المسيو دى واليف » قبسا من ذلك الجمال الشرقى العريق فليته لا يرى أيضا أولئك السائلات المقنعات المخيفات اللواتى يتعلقن بأهداب المارة فى شارع قصر النيل، ويضطهدن السائرين بشارع فؤاد الأول . وليته لا يشهد من شرفة شبرد جنازات تتبعها نساء حافيات الأقدام ، مخضبات بالنيلة الزرقاء، ربطن أعناقهن بالمناديل السوداء، يولولن ويملأن بعويلهن الفضاء، وهن يشققن الجيوب، ويلطمن الخدود .



العطلة المدرســية

يسألني تلميـذ نجيب كيف يقضي عطلته المدرسية، وهو موفور الحظ من المـال والراحة لا ينقصه شيء، وانما ينقصه ما يملأ عليه أيامه ولياليه . أى أنه فى الواقع ينقصه كل شيء . فليس المـال والراحة إلا فى متناول ألوف الناس الذين مع ذلك يقتلهم الفراغ . والرجل الذى يعرف كيف يشغل كل لحظة من حياته، هو الرجل الذى لا تتسرب اليه الوساوس والهواجس .

بقى أن نعرف بماذا نشير على هذا الفتى المستيقظ الحريص على أن يشغل أجازته الصيفية بما يجعل لهـا قيمة .

أقول له إنى لمـا كنت فى سنه كنت أسافر الى الريف، وأبقى ساعات برمتها فى الغيط أتأمل تلك الأرض السوداء التى تنبت أزكى النباتات وألذ الفاكهة وأغنى المحاصيل . وكنت أحيانا كثيرة أمسـك الفأس الثقيلة بيـدى الصغيرة وأداعب الأرض أشق فؤادها كأنى أسألها مكنون سرها . وكنت أحب

ما حولى من تلك المواشى الوديعة الجميلة التى ترى فى عيونها الصفاء والسلام، من الجمل الى البقرة الى الخروف الى العنزة... وهى تحيي الدار عند خروجها وتحييها عنــد عودتها ، وتعرف طريقها دائما ولا تخطئ أبدا ، وتعرف أهـل الدار والمنـوط بخدمتها، وهم يعرفون مكرها ودهاءها اذا تمارضت أو تكاسلت .

وكنت احب أن أجلس الى النيل ساعات . أراه أحيانا يغضب فيأكل الأرض التى لم يخلق الله أخصب منها ويلتهم خيرها وبركتها . وأحيانا يرضى فيحمل اليها ثروتها من الطمى والخصب فلا تزداد كل يوم إلا قوّة كأن شبابها خالد يتجدّدأبدا .

وكنت أحب أن أجلس لأستمع الى القرآن الكريم يرتله شيخ رخيم الصوت غالبـا كفيف البصر. فتفتح لى تلك القراءة عوالم مجهولة من الخير والبر والصـلاح والتقوى ، وأرى الجنة والنار جنبا الى جنب أحدهما تجرى من تحتها الأنهار والأخرى تتلظى سعيرا أعدت للآثمين !...

وكنت أحب المرأة الفلاحة، وهى عضد زوجها وساعده الأيمن، تعرف دخله ونحرجه، وتحفظ له مكسبه،وتوجه أعماله

ما طاب لها . فهي سيدته من جانب وهي خادمته من جانب آخر . جبارة احيانا ومطيعة أحيانا .

وكنت لا أتلهف من القاهرة إلا على الجريدة أقرؤها ، فاذا فات القطار ولم يحضرها الخادم أو لم أعثر عليها شعرت بنكد طول يومي . و وضعت همي في الكتب التي أجدها وهي كتب الأزهر لأنك لا تجد في بيوت الفلاحين «أناتول فرانس» أو «فولتير» .

والى هذا كله كنت أحمل البندقية أحيانا وأطلقها في الحقل على هدف كنت قلما أصيبه ! ... وكان قلبي يخفق لمرور قطار العصر الراحل الى القاهرة . وكنت كلما شعرت بحنين الى العاصمة ألقيت في النيل بعض (النكلات والقروش التعريفة) سلاما على مصر ! ... فيغوص الأولاد وراءها يجدون في العثور عليها .

والآن وقد حرمتنا الأيام عيشة السذاجة والفطرة لا يسعنا إلا أن نشيد بها فهي عهد الصفاء الخالص . وطوبى لمن يحب الفلاحة و يعيش و يموت فلاحا بعيدا عن المدنية !

الفنون والجنون

يقولون إن الجنون فنون، فهل الفنون جنون ؟! هذا هو السؤال الذى كثيرا ما يتبادر الى الذهن عند ما يرى الإنسان بعض الفنانين يلبسون زرى اللباس زهدا وتقشفا . وفى أحوال كثيرة لا يكون الفقر حائلا دونهم ودون الهندام اللائق . فقد عرفنا «مارى باشكرستيف» الفنانة الروسية المشهورة تسير فى باريس ، وان كان لا ينقصها المال ولا الجمال، فى قميص الفنانين الأسود تربط زناره حول عنقها وتخب فى أكمامه .

وأمامنا الآن حياة فنان مشهور كان يضن بلوحاته أن تباع ولو مات جوعا، هو «هارولد فاراوى» مصوّر البحر الذى صوّر الموج، وصوّر الزبد، وصوّر النوء، وصوّر الخضم الفائر، وصوّر البحر فى روحه لا فى شكله . فهو لم يرسم الأمواج ولكن رسم سرها . كذلك يفعل الفنان النابغ . كذلك يفعل الموسيقى العظيم الذى يوقع على البيانو لا النوتة الموضوعة أمامه، ولكن ماوراءها

من نداء أو بكاء . فإذا جلس الموسيقار يضرب ألحانا تمثل ، فى نظر المؤلف ، هياج البحر ، فانه يسمعك هياج نفسه هو قبل هياج البحر . فاذا لم يكن ثائرا بطبعه ، أو اذا لم يكن محبا لفنه حبا يملك كل حواسه ويجعله يتقمص فى روح البحر نفسه وفى سر أمواجه وهياجه فإن الأنغام تصدر فاترة كأنها رذاذ المطر .

وهكذا كانت لوحات «فاراوى» الثلاث عن البحر من أروع ما تراه العيون . يقف أمامها الناقد ذاهلا إذا يشعر أنه بازاء قوة خارقة ، بازاء شىء ليس من هذا العالم ، يقف بازائها شاعرا بالخوف والرهبة والوجل كأنه أمام سر هائل محظور على البشر . ثم يتبع ذلك شعور مثير غامض كأنه عقيب مخدر قوى ، فاذا ما وجب التخلص — آخر الأمر — من هذا الإعجاب المضنى ومغادرة هذه العجائب المصوّرة بالألوان الزرقاء الخضراء ليعود المرء فيستأنف تكاليف الحياة ، يشعر بما لا حد له من الكآبة الخرساء .

ومع ذلك فإن هـذا الفنان قد رضخ لبيع لوحاته الثـلاث النابغة عن البحر أمام عرض باهظ من أمريكى ثرى هاو عمل ما لا يعمـل للحصول عليها . وما أن سافرت لوحاته حتى راح

فريسة للهم والغم . ولم يره أحد أياما طوالا . سجن نفسه في غرفته لا يزور ولا يزار كأنه في حداد بأبي العزاء .

ثم جاء نبأ مؤلم عن غرق الباخرة «الباتروس» التي تحمل اللوحات، فحمله له أحد أصدقائه فلم يكد يصيبه من الحزن إلا ظل شاحب، وهمس كأنه يناجي نفسه: إن آلهة البحر قد استردت سرها لأنها لم ترد فضيحته على الجهال! فهو عند ما كان يلاحظ البحر ويدرسه ليصوره قد كشف عن بعض خفاياه، وتعود على طبعه وسروره وغضبه، وأحبه وراح فغاص في أعماق الأمواج ولم يقنع بالطفو على سطحها . فهو طالب حقيقة . وهذه هي وظيفة الفنان المصور والموسيقى والكاتب الشاعر . وقد أدرك « فاراوى » القوة الهائلة تحت اللجة، وفاجأ الارادة الكامنة في الموجة، وعرف الناس القاطنين في الأمواه، وسمع وفهم أصوات الشجى والحنان التي تتجاوب بها شواطئ البحر وحناياه، وأصغى وأحب غناء بنات البحر وجنيات البحر، وهيمن على روحه رب هذا كله، رب الأرض والسماء جميعا، فراح يجثو خاشعا

على الشاطئ تكاد عيناه من نور الله تعشى . وعكس في تصويره الأمواج لمحة من هذا النور الربانى، أو لمحة من ظل النور، كاللمحات التى نراها ونسمعها فى أنغام «شوبان» . فكيف يحزن إذًا إذ استردت جنيات البحر سرها الغالى ؟ ! وكيف يبكى لوحاته الأرضية وقد اجتذبتها القوة التى أوحتها ؟ !

ولكن !... هذا الاستدراك الأبدى ، الأليم غالبا ، ولكن البحر لفظ صندوقا من الصناديق المغرقة وجدوا فى خباياه اللوحات الثلاث لم تمس بأذى .

أما مصورنا الفنان فلم يتقبل هذا النبأ السار بارتياح بل وجم له فى قنوط غريب ، وراح يكتب هذه السطور الأخيرة قبلما ينتحر : «زعمونى مخبولا . وقد أصابوا فقد كنت مجنونا إذ زعمت أن رجلا فانيا مثلى يمكن أن يصور لمحة من النور الأعلى ، ولو أن عملى كان كاملا لاحتفظ به صاحب السر الأسمى ، ولكنه رده الى ، ولست أستطيع العيش بعد هذا الازدراء ... ! » .

كم قارئا سيفهم هذا ويحبوه ! ؟ قليلون جدا ... ولكننى أكتب أحيانا لشخص واحد ! .

الموســـــيقى

حضرت منـذ يومين الحفلة الساهرة التى أقامها المعهد الملكى للموسيقى العربية . حقا ان الموسيقى نعمة من نعم الوجود . كيف يمكن أن يوجد فى هذه الدنيا أشرار، ظلمة، جبابرة، قساة، أنذال، جبناء، وفى الدنيا موسيقى ؟ !

عند ما كان السيد المهدى أو كان السنباطى يوقع على العود تساءلت أى فؤاد يخفق فى هذا العود، أى سر فيه وأى حنان ! ؟ انه يزيل وحشية الضارى ! . ان فى العود سلاما حارا لو عرفه «شكسبير» لذكره فى روايته «تهذيب الشريرة» . ان فى صدر العود قلب رجل، رجل يعانى ويألم ويحب ألمه ويراه جزأ من الرجولة ويعدّ العذاب قطعة من الحياة لا تنفصل عنها .

وعند ما وقع الأستاذ مصطفى رضا بك رئيس المعهد على « القانون » دب فى النفوس أمل خفى . وبدت الحياة غنية

غني طائلا تستحق البحث فى جوانبها عن أسرار جديدة، كان التوقيع الفنى على أداة غنية، كفيلا بأن يغنى الشعور، أحسسنا لذة فى التمنى والرجاء من جديد . شعرنا بأن الأمل ليس بعيدا عن اليأس، وما دام هناك أمل فكيف نيأس ؟!

ونفخ عزيز صادق «بالناى» . هنيئا له هذا النبوغ، انه متواضع خجول كالناى ، الناى فيه حياء غريب ولكنه حياء فاتن، ان شكواه فى وحدته ، فى وحشته ، ذات لوعة مرة تضنى النفوس . ذكرتنى بجبران خليل جبران الذى قال :

هات لى الناى وغن   فالغنا خير الصلاه
وأنين النـاى يبـقى   بعد ما تفنى الحيـاه

نعم ان أنينه غريب ، أنين يحمل الإنسانية كلها معه على الأنين، أنين تتجاوب به أجواز الفضاء ولو كان همسا .

ومع ذلك فليس الناى كله حزنا . ان فيه فرحا ومرحا ، ان فيه الى جنب قلب الشيخ قلب الطفل . ان فيه هتافا بالحياة، هتافا نبيلا ليس جهيرا مبتذلا ، بل مكتما متغلغلا يدخل حنايا القلوب ويسكن فى الضلوع ! .

جزى الله المعهد الملكى للموسيقى العربيـة خيرا ، انه أنقذ كرامتنا الفنية من جوانب كثيرة ولو أنه أبعد « الكمنجة » عن التخت العربى واستعاض عنهـا بالرباب لأحسن صـنعا لأن الموسيقى تكره التنافر بين الذوق العربى والغربى . والموسـيقى الصادقة تنكر توقيع الأغانى الشرقية على الأداة الافرنجية .

يستطيع الناس أن يجدوا عزاء وهناء فى الموسيقى . لأن الموسـيقى وحدها عالم قائم بنفسه ، معتد بنفسه ، يسـخر من هذا العالم .



اجتماعیات

المساواة

رأيت فى سينما ريجال لما كنت فى لندن رواية «ابن الآلهة» وهو فتى صينى طائل الغنى واسع المعرفة، مهذب ظريف يقود السيارة ويلعب الجولف . وقد لقى من تناقض الوسط الذى حوله فى نيو يورك وشدّة تعصبه ضد الشعوب الملوّنة ما حمله على هجر أمريكا الى أوربا . وهناك فى إحدى بلاد فرنسا الجميلة التى يقصدها السياح، التقى بفتاة أمريكية متأنقة بصحبة أبيها . فيتحابان ويخفى عنها أنه صينى، وليس فى مظهره أو مخبره ما ينم عن شعب ابن السماء، الى درجة أنها تهيم به وتجن حبا وتبوح له، فيؤمن لها على الحب وتصير خطيبته . فيضجر أبوها الرجعى ويعنفها ويوقفها على حقيقة جنسه قائلا لها : أما كفاك تعلقا بهذا الصينى! وعندئذ تجرى كالمجنونة الى (الكازينو) وهو حافل بعلية القوم وأغنيائهم وخطيبها الى مائدة فى انتظارها وكان فى يدها سوطها الذى تقود به

حصانها فتنزل به على وجه ذلك الغنى الصينى الكريم . واحد! اثنان! ثلاثة! أربعة! خمسة! ستة! سبعة! ...

لقد عددتها والسوط يصفر فى آذاننا وهو يمزق وجهه من اليمين واليسار ووجنتاه تنضحان بالدماء وهى تصيح فيه: «أيها النذل! أيها الجبان! أيها الصينى الخسيس! . »

فسافر لساعته وعاد الى بلاده يخفى عاره وانكساره فى صدر أبيه المحتضر . أما هى فلم تلبث أن أخذتها اللوعة وجنت من وحشة الفراق، وندامة الجرم الفظيع نحو رجل لا ذنب له؛ فتنصرف الى الخمر تحسوها فيزداد بها الشجن والحنين حتى تصبح شبحا . ويذهب بها أبوها الى نيويورك يتوسل الى صاحبنا «ابن الآلهة» أن يقف الى جانب فراشها وهى فى غيبوبة الخطر، فقد كانت تلك هى آخر وسيلة لجأ اليها الطب لإنقاذها، ففعل . وكان نبيلا . وتعرف هى بعد إبلالها أنه هو الذى أنقذها . فتأتى تترامى على قدميه، وتطلب الصفح عن كفرانها بالحب والحق، وتقول: «مالى ولجنسك؟ أنت هو أنت يا حبيبى!» فيغفر .

أما أنا الشرقى الجالس فى مقعدى محزونا فما غفرت له غفرانه لأننى عند ما انهالت على وجهه تلك الضربات الممزقة من سوط الفتاة شعرت بأنها على وجه الشرق كله .

واليوم تدور الدائرة ويبدأ العدل يقيم ميزانه . فقد أدخل نائب السنغال وهو زنجى فى الوزارة الفرنسية . فيا له من درس جميل فى المساواة تضربه فرنسا لأوربا وأمريكا، والنفور من الشعوب الملونة ما زال فى كل مكان .

وهذا الحادث التاريخى الذى لم يسبق له مثيل قد أتاه رئيس الوزارة الجديدة «المسيو لافال»، وهو فى السابعة والأربعين من عمره، وهو ابن جزار، رأى أباه منذ نعومة أظفاره يضرب (بالساطور) والسكين ويقطع فعمل مثله فى السياسة . وبينا الزنوج حتى اليوم يشنقون فى أشجار الغابات بأمريكا ويجرون بالحبال وراء الخيول الجامحة ويمثل بهم بأكثر من ذلك . يجىء ابن الجزار ويشرك الزنجى معه فى حكم جمهورية فرنسا والملايين التابعة لها .

فلتهنأ الشعوب الشرقية والأجناس الملونة بهذا التقدير من الدولة التي حررت بثورتها أكثر العالم من قيوده السياسية والاجتماعية ، وهو مثل رائع وخطوة كبرى في المساواة بين الناس .



زواج الطلبة بالأجنبيات

حسنة لمعالى وزير المعارف يجزى عليها الجزاء الأوفى بقدر ما تأخر الى اليوم تحقيقها ، وهى تحريم الزواج على أعضاء البعثات العلمية فى الخارج .

فهذا درس جديد يعطيه الوزير لأبنائه الطلبة . وهو يريد به أكثر من تجنب المشاكل القضائية التى تنتج للوزارة عن مثل ذلك ، أن يقول لهم أنهم انما أرسلوا للعلم أولا وخدمة بلادهم فاذا ما حصنوا أنفسهم بما سافروا من أجله فهم أحرار .

ولم أشهد تخبطا فى الزواج بالأجنبيات مثل تخبط الطلبة المصريين فى أوروبا . فان الطلبة يتزوجون غالبا بنساء لسن فى العير ولا فى النفير بل هن نفاية النساء . خذ مثلا : أمة كالأمة الفرنسية ، شديدة الحرص على تقاليدها ، وأستطيع أن أقول صراحة إنها شديدة الكراهية للأجانب إطلاقا . فكيف يتيسر لطالب مصرى أن يختلط بأسرة كريمة حقا إلا فيما ندر؟ !

إذًا فطالبنا يتزوج من فتاة (على فرعها) ... جريئة مغامرة من ذلك الجنس الذى يقبض على الرجل فلا يفلته لاحيا ولا ميتا !

كنا يوما فى الحى اللاتينى فى باريس نتحدث فى ظـلال « البـانتيون » مقر العظماء الراحلين، فأقبـل علينا فتى مصرى فى الثانية والعشرين من عمره، جميل الطلعة وجيه البزة، وكانت هذه هى المرة الأولى التى رأيناه فيها، فقدموه الينا باسمه، وقدموا فتاة تصحبه باسمه أيضا لأنها « مدامته » بالميم لا بالنون !

حقا اننى وأصحابى دهشنا . لأنه يصعب على الإنسان أن يتصور كيف اختار هذا الفتى زوجته : بل كيف فكر هذا الصغير فى الزواج . ! لأنها فى نظرى آخر فتاة يجوز للإنسان أن يكلمها فكيف يتزوجها ! قصيرة حتى لتكاد إذا خاطبتها تشرف عليها، ضئيلة حتى لاتكاد تتبينها، ليس فى لبسها ذوق ولا أناقة . وهذا فى باريس فضيحة، لآن باريس تربى الذوق وتمنحه الذين حرموه.

تكلمتْ...! انها تجر كلامها جرا كأنه عربة نقل خاوية ! . ليس فى صوتها نعومة أو حنان . وماذا قالت ؟ شيئا تافها أتفه من ورقة الترام التى تبقى فى جيبك بعد النزول ! ...

وآخر من يجوز له الزواج هم الطلبة الذين لم يضعوا بعد حجرا واحدا فى مستقبلهم وحياتهم المادية . هؤلاء الذين يدرسون فى انتظار ما يأتيهم به الغد . فأما أن يربطوا حياة خلائق أخرى بحياتهم ، خلائق قلما تأتلف مع الوسط الذى نعيش فيه ، فأقل ما يوصف به هذا التصرف من جانبهم أنه تسرع وطيش .

فالحد الذى يضعه اليوم وزير المعارف ضرورى جدا ليقف مبعوثى الحكومة المصرية عند حدّهم اذا تركوا حبل أنفسهم فى الهوى على غاربه . وعند ما يخرجون الى ميدان الحياة سيكون لديهم الوقت والعقل والمال للاختيار . أما قبل ذلك فهذا كله ينقصهم .

غرام التلميـــذ

تلميــذ فى المدارس الثانوية أحب تلميذة تدله فى حبها، فزجره أبوه فلم يزدجر، فأبى أن يدفع له مصاريف المدرســة فرفت . وفى تلك الأثناء نالت التلميذة شهادة كفاءة المعلمات فقطعت صلتها به وصرمت عهوده وهى التى كتبت له يوما على صورتها : « وسواك فى خاطرى لا يخطر » .

والآن تسألنى رأيى ؟ أقول لك صراحة يا بنى : إن أباك قد أصاب بالتخلى عنك، وإن حبيبتك قد أزكت رأى أبيك فيك بهجرها إياك .

ففى الوقت الذى مازلت فيه غير قادر على كسب (نكلة) وأبوك يصرف عليك من عرق جبينه ويكد ليطعمك ويكسوك ويعلمك ويسعدك، أخذت أنت نفسك بالعبث والغزل وأغريت قلبك بحب بنت لم تطلع ولم تنزل، وجعلت تهمل حفظ دروسك لتدبج لها الرسائل الغرامية، وتستشير فى ذلك « ماجدولين »

وتخيل نفسك «استيفن» تارة وتارة «روميو» ! . وطفقت تتأخر في الصباح عن مدرستك لتوصلها الى مدرستها، وتخف عصرا اليها لتودعها فى إيابها . وجعلت تطالب بنفسك لنفسك تباريح الهوى والجوى والضنى . وكان السالب والموجب من كهرباء هذا الحب منك وفيك وحدك ! .

لقد كانت عابثة بك . وأكلت (الشوكولاته) التى حرمت نفسك مصروفك اليومى لتشتريها لها وهى ساخرة بهديتك الضئيلة . ولعلك تطفلت كثيرا من وراء أبيك على السيدة والدتك لتجمع لها القروش لتشترى زجاجة عطر ... ولو « ماء القسيس» بسبعة قروش، وتذهب بها مرة فى الحين بعد الحين الى (سينما أوليمبيا) أو (المنظر الجميل) ! كل هذا لأنها تنظر اليك يابنى وتخفض من بصرها كأنها الخجول من نظراتك . أو لأنها ترد على رسائلك بأحسن منها .

أجل ! . إننى هكذا أتخيل هذا الحب العظيم الذى تريد أن توهمنى به فى رسالتك . وليس أدل على أن هذا الحب كان عبثا كله من أنه شاع وذاع وملأ الأسماع حتى عرفه أبوك

ثم فُصلت من المدرسة بسببه ، واست تعرف الآن يا بنى وأنت فى سن العشرين ما كاف ذاك أباك وأمك من الحزن والأسى ، لأنك الآن كما يقول « الفونس دوديه » فى السن التى تلمع فيها العيون ولا ترى شيئا . ولكنك ستدرك ذلك كله حتما يوما ما .

والآن أرأيت كيف نجحت البنت حيث فشلت ، وكيف وقفت هى حيث أخفقت ، ووصلت الى شهادتها وأنت يا بطل الغرام فى أوّل الطريق وقفت وتخلفت .

نالت كفاءة المعلمات ، بعـد ما نلت كفاءة الغراميات ، ولم تعد تجدك كفئا لها ! ؟

كيف تدهش لخيانتها ، ومتى كانت صادقة ؟ ! إنها الآن قد ارتفعت قليلا بتلك الشهادة الصغيرة وصارت لها مطالب أكثر وحاجات أوفر ، وفرص أسنح ، وأنت اليوم صفر اليدين من كل شيء حتى من كرامة التلمذة وطلب العلم ! . وهى لهذا انصرفت عنك الى سواك . وإنا لنأسف على ما أصابك ، وهذا درس نضربه لتلك الناشئة المتطلعة الى حياة موفورة حتى يشغلوا بمـا هو أنفع لهم وأجدى عليهم ويترفعوا عن الجرى وراء الطائشات العابثات .

الطيش

نسمع من الشيوخ والعجائز، نحن الذين ما زلنا ننتسب الى الشباب، إن حقا وإن باطلا، أن بعض العمد وأغنياء الريف فى الزمن الغابر عند ما كانوا يقدمون الى القاهرة تبهرهم الكهرباء والترام وحنفيات الماء؛ وتبهرهم أولئك المغنيات اللواتى كن فى الالدرادو والهمبرا وحوالى دار التمثيل العربى ... أولئك المغنيات الراقصات السمينات سمنة فاحشة لا يمكن أن يتم معها رقص ولا غناء بالمعنى الذى نفهمه الآن ونتذوقه .

ونسمع عما كان يأتيه بعض هؤلاء العمد الريفيين الأغنياء الساذجين من ضروب التهوّر وشرب الخمر والإسراف ... فعند كل لفتة أو إشارة تفتح زجاجة شمبانيا، هى شمبانيا بالاسم فقط، لأنه لا المغنية ولا العمدة يعرفان ما الشمبانيا ولا ما طعمها . ويملئون للمرأة السمينة وهى على المسرح الحقير المزين بالبطيخ الزجاجى الأحمر والأصفر والنجف والشموع والبيارق،

يملأون لها كأسا وتعود الزجاجة كما هى بعد أن تبل شفتيها من تلك الكأس وتحنى له رأسها إحناء خفيفا جدا ... ...



(ياسيدى !) وفى الزجاجة الثـانية تحنيها له أكثر وفى الثالثة تصحب التحية بابتسامة تنفرج فيها شفتاها عن أسنان صفراء قذرة كأسنان البقر .

ويعرض غالبـا لذلك الساذج مزاحم أشدّ منه سـذاجة وأكثر مالا ، فيرسل اليها بدل الزجاجة ثلاثا أو ستا دفعة واحدة تذوق من واحدة منهـا كأسا كالعادة وترد الباقى ... (ويصـفق المطيِّب : يعيش الجدع !) .

بل قد حدث ، وهـذا آخر وأروع ما رواه لنا شـيوخنا وعجائزنا الذين كانوا خيرا وبركة ، أن أحد العمد كان معـه مبلغ كبير فأراد أن يضرب الرقم القياسى فى زجاجات الكونياك فأمر فعملوا للمغنية الراقصة سـلما من صناديقها الخشبية نزلت عليها حتى وصلت الى منضدته فجلست معه بين تصفيق الحمق والمعجبين والسـاخرين ... ودفع حضرته ، أو ضرب وساقوه الى القسم .

نسمع هذا كله فنعجب ونراه ضربا من ضروب السذاجة القروية ، ونوعا من التذمر من حياة الريف والشعور بالرغبة

فى الانطلاق عند الوصول الى المدينة . ونحمد الله على أن الأيام قد دارت دورتها وجاء عصر بعد يسمر نبه الناس الى نواحى من الخير واللهو أسعد من تلك الناحية التى لم يكن فيها من اللهو والخير شىء .

ولكن تصوروا أنه ما زال بيننا أولاد أغنياء يرثون أموالا طائلة فيضيعونها بين يوم وليلة ، وتصوروا أن هؤلاء الشبان الأغنياء متعلمون نجباء ، فليسوا من أولئك السذج الريفيين فى الزمن الخالى ، وتصوروا أنهم يرهنون من أجل ممثلة أجنبية أو عجفاء غربية كذا مائة فدان بكذا ألف جنيه ، أو يستدينون كذا وكذا بربح كذا فى المئة !

ان جميع أهل القاهرة اليوم يعرفون هذه الحكايات ويضحكون على أصحابها الذين ستوقظهم من غفلتهم الحاجة والبؤس ، وسيصبح خدمهم أسيادهم ، فليسوا بأفضل من فلاحى الأمس فى الهمبرا والألدرادو ، والتاريخ يعيد نفسه دائما بشكل آخر !

كرامة العامل

منذ نحو ثمانية أشهر كنت أقص شعرى فى (صالون) بشارع فؤاد الأول، ولم يكن قد مضى على عودتى من أوربا شهران. وكنت ما زلت متقلا بما رأيته من رفاهية يرتع فيها العامل الانجليزى. وكنت وأنا جالس مستسلم الى حلاقة الشعر المملة، التى هى أثقل على القلب من السير فى جنازة رجل بخيل، تتوالى أمام ناظرى تلك الصور البهيجة لحياة العامل الانجليزى فى ضواحى لندن، وأقول فى نفسى وأنا أفكر فى العامل المصرى: هيهات ! ...

واذا الشاب الذى يحلق للزبون الذى الى جانبى غاضب، لأن الزبون كان يكلمه فردّ عليه طبعا، ولكن صاحب المحل جاء فهمس فى أذن عامله كلمة عدّها هذا العامل تعنيفا فى غير محله وثار عليه. ولم أشهد مطلقا مثل هذه الثورة إلا فى باريس حيث الطبع الفوّار الجامح يشبه الطبع المصرى من كل الوجوه،

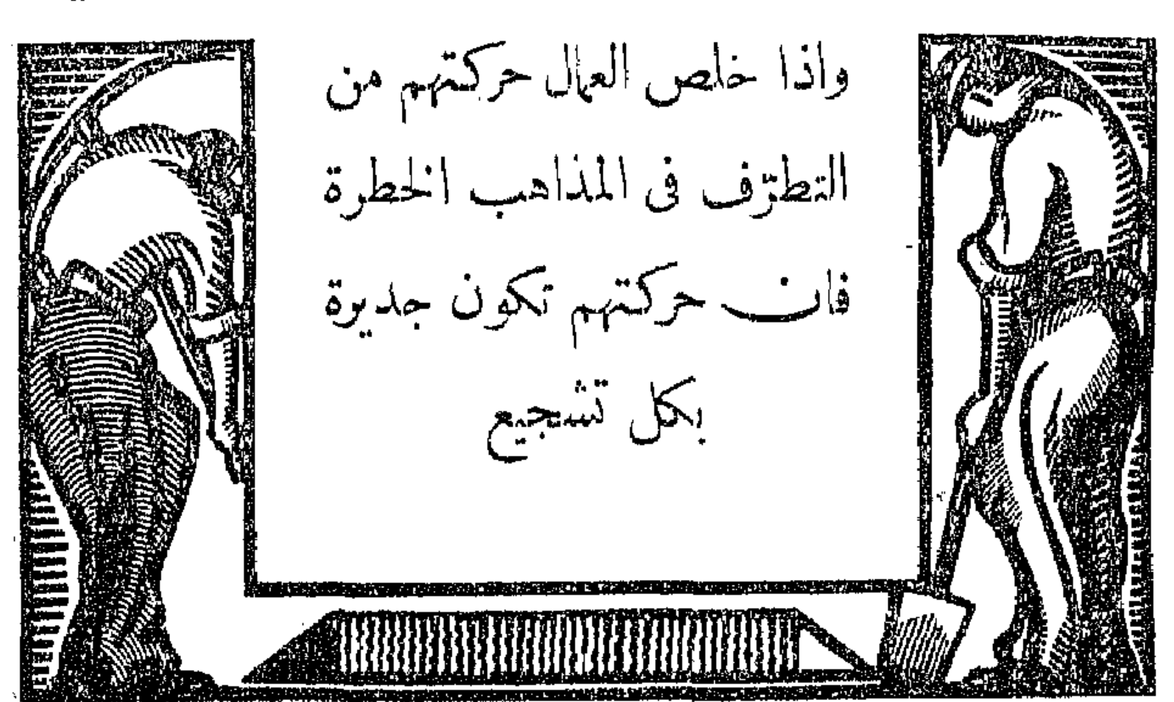
وحيث آراء الاشتراكيــة والمساواة تملأ النفوس . وكانت لغة ذلك العامل المصرى سليمة الى حدّ موجب للدّهشــة ، وكان منطقه رائعا كما لو كان قانونيا بارعا ،وكان قوىّ الاعتزاز بالذات يأبى على صاحب المحل التــدخل بينه وبين الزبون ، وأنه إذا خوطب له حق الردّ ، وأنه ليس بالحيوان الأعجم . ولم يذكر فى هذا كله كلمة جارحة ،ومع ذلك كانت كلماته كأنها السياط .

وعندئذ شــعرت بأنى انتقلت الى المستقبل عشرين عاما فى غمضة عين، فباركت الساعة التى حضرت فيهــا للحلاقة ... وبعــد ذلك جاءنى يوما ذلك العامل نفســه مع زميل له طلبا لكلمات تشجيع لنهضتهم المباركة . وكتبت لهم كلمة . ولم أذكر له هذا الحديث لأنى كنت أدّخره لأذكره يوما لقرّاء (الأهرام) . وإنى أذكره لأنى رأيت صورة ذلك العامل الكــريم أمس فى الأهرام ، فهو « أحمــد المصرى » وكيل الهيئــة التنفيذية لحزب العمال المصرى .

فالعامل المصرى قد بدأ يتنبه للوجود ، وقد ارتفع ميزان كرامته ، وقد جعل يعتدّ بنفسه ومهنته مهما كانت — فان كل

عمل شريف — وقد أخذ يضع قدمه بثبات على الأرض موقنا بأن له الحق فى ذلك ، وأنه عندما يطالب بتحسين حاله ورعاية الدولة لحقوقه ليس مبالغا وإنما هو فى دائرة المعقول ، وهو أيضا قد تنبه الى أنه لا يجوز أن يكون آلة فى يد الحكومة أو على الحكومة ، وعند ما تصبح تلك عقيدة عنده ويأبى أن يستغل باليمين والشمال لأهواء السياسة سيصل الى ما يطمح إليه من احترام جميع طبقات البلاد .

وكل ما نطمع فيه ونتمناه أن يفصل العمال عن السياسة ، فيكون لكل عامل الحق فى اعتناق ما يشاؤه من المذاهب السياسية ، ولكن ليحرص على أن يكون عاملا قبل كل شىء . وسوف تستغل حركة العمال ، ككل حركة نافعة ، من أناس نفعيين .



واذا خلص العمال حركتهم من التطرف فى المذاهب الخطرة فان حركتهم تكون جديرة بكل تشجيع

لا إســـــراف

« الســـلام عليكم ورحمة الله . وبعد : أريد سرد حكايتي عليك ولكنها طويلة ، وتتلخص فى أننى من عائلة شريفة معروفة ، ولكننى متزوجة من منذ اثنى عشر عاما وتعبي جدًا مع قرينى ، وأريد التخلص منـــه بأى كيفية مع أننى ولدت له فتى سنه عشر سنوات ... ومات منى ولد آخر ، وعنـــدى فتاة فى نحو الخامسة من عمرها . فما رأيكم يا نصير الفتيات والســـيدات التعسات ؟ هل أشكو الى الله أمرى أم اليكم تنشرونه فى الأهرام ولكم منى مزيد الشكر .

مع هذا إذن بوستة بعشرين قرشا للنكوب الشيخ الفانى والد شهيد المروءة أحمد عبد الســـلام وهذا الريال من مصروفى الخاص ادخرته هو وآخر للتعوسين والمعوزين لأننى شاعرة بمرارة فى حياتى فما بال الفقراء ! » . سيدة



أما شكواك يا سيدتى الينا فنحن نتقبلها لأن وظيفتنا هى أن نأسو الجراح ونضطهد القتلة .

ولكن رجاء اليك أن تكونى منصفة صادقة ، فلا تحملى زوجك الأوزار كلها . اعرفى أيضا عيوبك وراجعى بدقة وذمة وأمانة

تاريخ الشقاق وأسبابه ، وهل بدأ من جانبك أو جانبه ، وهل لم تكن هنالك وسيلة لتلافيه .

إن كلمة الفراق يا سيدتى ، التى ترادفها عندنا كلمة الطلاق ، هى كلمة بشعة فظيعة جدا ، تهتز من هولها الأرض والسماء . إن الأم عند ما تخرج من بيتها ومعها أولادها أوليسوا معها هو يوم تلبس فيه الانسانية ثوب الحداد . فلا تستهينى يا سيدتى به ، وصبرا جميلا ، واذكرى دائما أن الدنيا لم تعودنا الصفاء . وأنها اذا منحتنا من دهرنا ساعة سعادة حرمتنا إياها بعد ذلك الليالى والأيام...

وما أسهل يا سيدتى ما يعمل الإنسان على تكوين حزنه وألمه وسآمته وضجره ! ما أسهل ما تتصور المرأة خيانة زوجها اذا غاب عن موعده مثلا ! فقد أوتيت المرأة خيالا قويا تتوالى عليه اللوحات السريعة سرعة المناظر السينمائية ، والمرأة الحريصة على سعادتها لا تستسلم الى الخيال ، ولا تجعل من الحبة قبة ، وتكون دائما هى المرأة الحنون ، تنظر الى الرجل على أنه مخلوق ضعيف فى حاجة دائما الى العطف والصفح والحب ، فلا تدخر فى ذلك عطفا أو صفحا أو حبا .

ويوجد يا سيدتى فى كل رجل الطفل وفى كل امرأة الأم .
ونحن الرجال بحاجة أحيانا الى من يدللنا ومن يمسح رؤوسنا بأصابع الحنان، ومن هو أولى من الزوجة بهذا! وهى التى تتسلم الرجل من أمه وتتولى بعدها تدليله ومعاشرته .

ان الشقاء يتطاير ياسيدتى فى كل مكان ، ومن كل نظرة، ومن كل كلمة . فتجنبى ياسيدتى المكان الذى تسمعين فيه قيل وقال ، وتجنبى ياسيدتى النظرات الخائنة من النساء والرجال، واعلمى أنه لا يوجد فى الدنيا أشرف من أن نبدد السآمة والحزن عن نفوس من نحبهم، وليس فى الدنيا أنبل من تقديس البيت والحرص على أن تكون الأسرة كالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

والآن تكلمى ياسيدتى . وفى هذا الجو الذى حاولت أن أحيطك به أرجو أن تتفضلى اذا شئت ببث شكواك .

فى الحيـــاة الزوجيـــة

« لا أعرف قط أنه نشأ بينى وبين زوجى خلاف جدّى ، وأعرف أنه لا تناقض فى المزاج بينى وبينه يصح أن يكون سببا فى الخلاف ، وكل الظواهر تدل على أننا أليق ما يكون أحدنا للآخر .

هذه هى وقائع المسألة : اقترنا منذ سنوات عديدة ، لذلك قد وصلنا الى النقطة التى يتحوّل فيها الحب بالمشاعر ، دون أن نشعر ، الى حب هادئ عميق ؛ ذلك الحب الذى يتولد عن اشتراكنا فى السراء والضراء ، وعن اطلاع كل منا على نفسية الآخر .

ومن المحقق أن هذا التغيير الأساسى فى طبيعة الحب بين الزوجين يحدث بالتـدريج وببطء ، وبدون أن يحاول أحدهما المحافظة على ظواهر الحب التى كانت بادية فى أوائل حياتهما الزوجية .

ولكن زوجى المحترم لا يطيق أن يحتمل بهدوء أى تفكير فى هذا التغيـير لامناص منه ، فهو يجاهد فى ابقاء «الرواية» التى لا بد من انتهائها ؛ بل يريد أن يحل مكانها رواية حب أقوى من الأول ، وهو قوى الرغبة أن يدمج حبيبته فى زوجتـــه .

الواقع إنه يريد أن يجعل فترة الغزل والتحبب ممتدة طول الحياة الزوجية ،

وما لذلك من نتيجة إلا أنه كدر صفاء سعادته وسعادتى . إنه لا يزال يحبنى بالمعنى الأولى من الحب ، وأنا من جهة أخرى لم أعد أشعر بنيران الحب متأججة بين ضلوعى ، ولو أنه لا يزال حائزا لكل ما يحوزه الزوج فى قلب زوجته ، ولذلك أرفض رغبته وأرفض أن يستمر على البقاء فى مركز المحب أو العاشق لى ، فقد خرجنا من دور عاشقين الى دور زوجين .

ولى أن أقول ، ويوافقنى كثيرون : إن سعادة إظهار الحب — بطبيعتها — لا يمكن أن تدوم إلا زمنا معينا ، وان محاولة اطالة هذا الزمن ليس من ورائه إلا إحراق القلب بغير ضرورة

من هذا ترانا مندفعين الى الصخور التى تحطم عليها سفن الزوجية لأسباب ، على ما يلوح لأول وهلة ، غير مقبولة شكلا وموضوعا .

فما رأيك أنت يا قاضى ... ؟ زوجة

من خريجات المعلمات السنية

* * *

رأى القاضى يا سيدتى يقضى بأنك لا تحبين زوجك كفاء حبه . وكنت أتمنى أن يكون الحال على عكس ما هو بينك وبينه ، أى أن تكونى أنت لا العاشقة المفتونة المتهوّرة ، ولكن الزوجة المحبة الحنون التى تجدّد كل يوم ضروبا من الود

وألوانا من العطف، لأن هذه هى وظيفة المرأة، ذلك المخلوق النورانى، الرقيق الإحساس، الحاد الشعور، الذى ما وجد على هذه الأرض إلا رحمة بنا، ليزيل ما بنفوسنا من كآبة الأيام، ومرارة العيش، ويملأ علينا فراغ الحياة ...

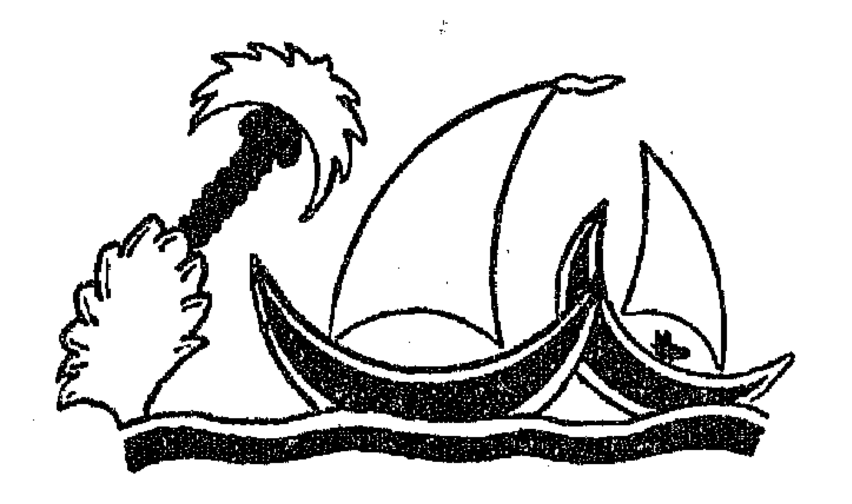
أتريدين ياسيدتى أن ينظر اليك زوجك باعتبارك الزوجة دون الحبيبة ؟! باعتبارك ربة البيت التى تطهى وتكوى وتربى الأولاد وتستقبل وتزور وحسب ؟! أتريدين ياسيدتى ستارا من الملل يسدل بينك وبينه بدلا من أن يدخل عليك كل يوم بالزهور والحلوى والعطور ... والبسمات ... والقبلات ؟!

إن من سيئات الزواج الشرقى عندنا أنه يطفئ تلك الجذوة المقدّسة، فلا تلبث بعد العام الأوّل أن يصبح الزوج فى ناحية والزوجة فى ناحية، كأنهما أصبحا يجتمعان على كره منهما تحت سقف واحد، ولم تعد تربطهما إلا ظروف المعيشة المادية .

والمألوف ياسيدتى أن يبدأ حب المرأة عند ما ينتهى حب الرجل، وهكذا نراك زاهدة نوعا ما لأن حب زوجك لم ينتـه بعد، وإنى أخشى عليك وعليه هذا الزهد .

انني ياسيدتي نصير الحب في كل لحظة من لحظات الحياة ، الى آخر رمق في الحياة ، إنني نصير الزواج الذي أساسه الحب . و بقاء الزواج ما بقي الحب .

أسْرعان ماشاخ قلبك وأنت في نضارة الصبا ؟ ! ألا فاحرصي ياسيدتي على هـذا الحب القوي الصادق المتجدّد الذي لايمل ولا يتثاءب ، لأنه مازال في عنفوانه ، وهو دليل حيوية وطبيعة غنية ... وغداً ... غداً لاتلبث أن تأتي أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة ، وأمامنا فيها مجال أي مجال للفتور والرزانة والتعقل . وعندئذ بالله صدّقيني ، نعود فنعيش على ذكريات الشباب .



فى الحيـاة الزوجيـة

« قرأت أنشودة الزوجة التى يحبها زوجها حبا مبرحا ، وهى تريد إنهاء رواية الحب بسرعة . فها نحن نشهد عكس النظرية ، فبعد أن كان السر فى فشل كثير من الزيجات هو قلة الحب المتبادل بين الزوجين أصبحت المسألة الآن زيادة الحب عن القدر المناسب .

الزوج معذور اذا فاضت ينابيع قلبه المضنى ، فهو لا ذنب له ، ولا تستطيع قوة أن تطفئ شعلة حبه ، لكن الزوجة أيضا قد تعذر اذا هى خافت على نفسها أن تغرق فى هذا الطوفان ، فهى تعيش على الأرض لا فى السماء ، وللمنزل مطالبه وللحياة تكاليفها ، وللزوجة نفسها واجبات عليها تأديتها له ، واذا انصرف الاثنان الى هوى عذرى وطارا مع الملائكة الى سماء الحب ، فمن للمنزل يعنى بشؤونه ؟

الاعتدال فى هذه المسألة الحساسة أمر ضرورى ، ولا أقصد بالاعتدال إلا الحب العاقل الهادئ الذى لا يصل الى درجة التتيم . والظاهر أن حياة الركود التى انتابت الشرق هى المسئولة عن هذه الأمور ، فانّ تفرغ الزوج لأن يلهو بزوجته ، على أنها دمية جميلة محببة الى قلبه فيصبح ولا شاغل له سواها ، أمر قد يدعو الى إتلافها . فالطفل عندما يحب قطته يأخذ فى (شيلها وزعها) وعضها حتى تكره الحياة ؛ وما هكذا يجب أن تكون الزوجة الحبيبة .

وليس هناك خير من التغيير فى المعيشة : سياحة مثلا الى جهـة أخرى ، رياضـة فى الخلاء ، التلهى بعمل يشـغل الزوجين معا كتعلم العـزف على آلة موسيقية أو أى شىء آخر يشغلهما قليلا عن «كيوبيد» ، و يمنعه من أن يفوّق سهامه الذهبية الى قلبيهما .

والواقع أننا فى مصر مساكين : زواج من غير حب دائما لا ينفسخ ، وزواج بحب يخشى عليه من الفشل . والأمر لله » .

« مخـــرم »

وهـذا رأى آخر جدير بالاعتبار ، فانه يفتـح بابا جديدا أمام الزوجين ليحول دون الاحتكاك المباشر المستمر الذى يلح فيه الزوج وتزهد فيه الزوجة . يحول دون ما يسميه الفرنسيون «Tête-â-tête» أى المسارّة ووضع الرأس فى الرأس والأنف فى الأنف ...

شىء إذًا من الرياضة البدنية كلعبة «التنيس» أو السباحة أو الموسـيقى يدخل ألوانا بهيجة أخرى على الحياة الزوجيـة ولا ريب .

ولكن لابد لذلك من التعود والتدرّج ، وأعتقد أن الاشتراك فى أحد الأندية الرياضية من زوجين شىء لم نتعوّده بعد وننظر

اليه باعتباره خروجا على التقاليد فى حين أنه أنفع وأجدى لصحة العقل والبدن من الزيارات والاستقبالات الطائشة التى تجرى عادة بين السيدات عندنا ، وهى وخيمة العواقب ماديا وأدبيا .



فى الحيـاة الزوجيــة

« القراء يدعونك يا سيدى بالقاضى ، وأنا أعرفك باحثا نفسيا قبل أن تكون قاضيا يرتبط بالقوانين .

إننى متقدّمة فى السن ، وقد تستغرب هـذا التصريح من امرأة .. ولكنه شعور بدأ عندى من سن الأربعين ، شـعور كان زوجى يغذيه بالنفور والسخط حتى أصبحت أنا — دون سائر النساء — أرى حقيقة سنى كبيرة ، بل مجسمة ، لا بل أكبر مما هى بكثير .

موقفى هو عكس موقف السيدة التى جاءت تشكو اليك زوجها لأنه يريد أن يجعل منها زوجة وحبيبة معا . أما أنا فأشكو اليك أن زوجى قد أصبح لا يبادلنى الحب لأننا أصبحنا عجائز، أستغفر الله ، بل هو يحبنى ولكنه لا يبادلنى ذلك الحب القوى الشاب الذى كنت أراه منه حين كنت صبية ، والذى لا زلت أحرص عليه رغم أننى متقدّمة فى السن .

قرأت كلمتك اليـوم فى «الأهرام» الذى يحضره زوجى معه كل يوم ، وكنت أود أن أستيقن أن زوجى قـد قرأها . تأثرت بها رغم كبرى ، وأرجو أن تكون الزوجة الشابة قد تأثرت بهـا هى أيضا . وقـد بكيت بدموع غزار حين وقفت على العبارة الآتية فى مقالك :

« ... وغدا ... غدا لا تلبث أن تأتى أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة ، وأمامنا فيها مجال وأى مجال الفتور ... » .

أنا كبيرة السن . والأستاذ الصاوى ، الذى هو سلوتى هـذه الأيام بما يطالعنى به فى «الأهرام» ، يعترف مع زوجى بأن كبير السن لا حق له فى المتعة ولا خير له فى الحياة . ولكنى لا أعترف إلا أن الحياة هى شـباب النفس . أما غضون الشيخوخة فماء الشباب يرويها ، والحب يملؤها ، والحياة تمرح فيها ، فاذا بها قد اسـتلانت واشتدت . ولا أرى للانسان غير حياة وموت : حياة يحيا فى ظلها الشباب والحب ، ويمتع بشبابها الشاب والعجوز ؛ وموت يطوى فى قبره الشاب الى جانب الهرم لا يفرق بينهما . وإذا كان الموت لا يفرق بين الصغير والكبير ، فكيف تطالبون الحياة بأن تبخس العجوز حقها على حين يتمرّغ الشاب فى متاع تلك الحياة ؟

ترى ماذا يكون تعليقك على رسالتى ياسيدى ؟ ! آه ... أتراني أهذى أم أحلم ؟ ! أيكون نصيبها خيرا من سلة المهملات ؟ ! . هكذا تقابل الشيخوخة ! ... اذا كان زوجى الشـيخ لا يعطف على شيخوختى ، فهل أجد هـذا العطف فى شاب يحب أن يتحدث عن الشباب للشباب ؟

عجوز عطشى



إننى أعترض مبـدئيا يا سيدتى على وصفك نفسك بأنك

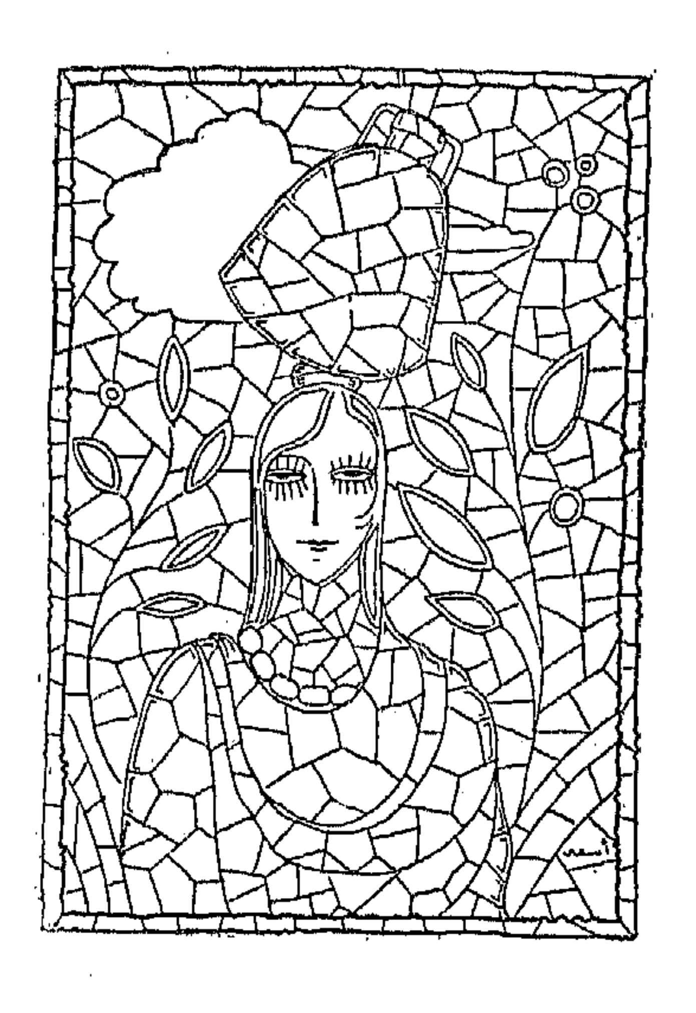
عجوز . فالمرأة لم تعوّدنا المبالغـة فى سنها ، والشابة تعدّ نفسها عجوزا ، كما أن العجوز تعدّ نفسها دائما فى ربيع العمر .

وأنا أفهم اعتراضك وأتقبله متسائلا : أيعرف الشباب حقا ما هو الحب الى جنب ما يعرفه الشيوخ ؟ ! ما أكثر مايكون حب الشباب عبثا ولهوا ولعبا بالنار ! ما أكثر ما يكون حب الشباب من هواجسه وأحلامه ! يكون من نفسه لنفسه السالب والموجب معا . وقـد عرض لهـذا الموضوع الكاتب اللبق «بول چيرالدى» فى رواية « الحب » عند ما قال : « إن الفتاة فى سن العشرين لا تعرف ما هو الحب ، وإن هـذه العاطفة المقدّسة لايمكن أن توصف هذا الوصف إلا عند مايتم تكوين عقل المرأة وجسمها ، أى فى نحو الثلاثين » .

فاذا كنت أنت يا سـيدتى محبة بكل معانى الحب فأنت عند وظيفة المرأة ، تؤيدين ما خلقت له ، ويجب أن تحمدى الله على أى حال لأن زوجك يحبك ، وإن كان بداهة وهو فى الخمسين غيره وهو فى العشرين . حبه الآن هو حب الطمأنينة الساخرة من اضطراب الشـباب وانفعاله ، وهيجته ولوعتـه ، وفورته

وغيرته ، حب رزين منسجم صادق مستمر ، مع ذلك يخطر ببال صاحبه في الحين بعد الحين قول شاعرنا :

أوّاه لو عـرف الشـبا   ب وآه لو قدر المشيب



زواج الصغرى

الى أى حدّ يجوز للوالد أن يحول دون زواج ابنته لأن أختها التى أكبر منها بعامين أو ثلاثة لم تتزوّج بعد ؟

هذا سؤال يختلف الجواب عليه اختلافا كبيرا ، وقد وجهته الى الكثيرين قبل أن أثير هذه المسألة التى هى مع ذلك ليست عويصة الى هذا الحدّ .

لى صديق طبيب شاب من أسرة شريفة معروفة ، أحب فتاة ليست أعلى منه حسبا ولا أكثر مالا ، وتربطه بأسرتها روابط صداقة قوية . تمنى أبوها لو تزوّج الصديق الطبيب من ابنته الكبرى ، ولكنه أبى كل الأباء أن يزوّجه من الصغرى ، التى يميل فعلا اليها ، بحجة أن فى ذلك مهانة لا يرضاها للكبرى ؛ مع أن الفارق بينهما فى السن لا يتجاوز ثلاث سنوات . وكانت النتيجة سيئة على الجانبين ، فلا الكبرى ولا الصغرى تزوّجت منذ عامين الى الآن ، ولا ينتظر أن يتزوّجا فى وقت

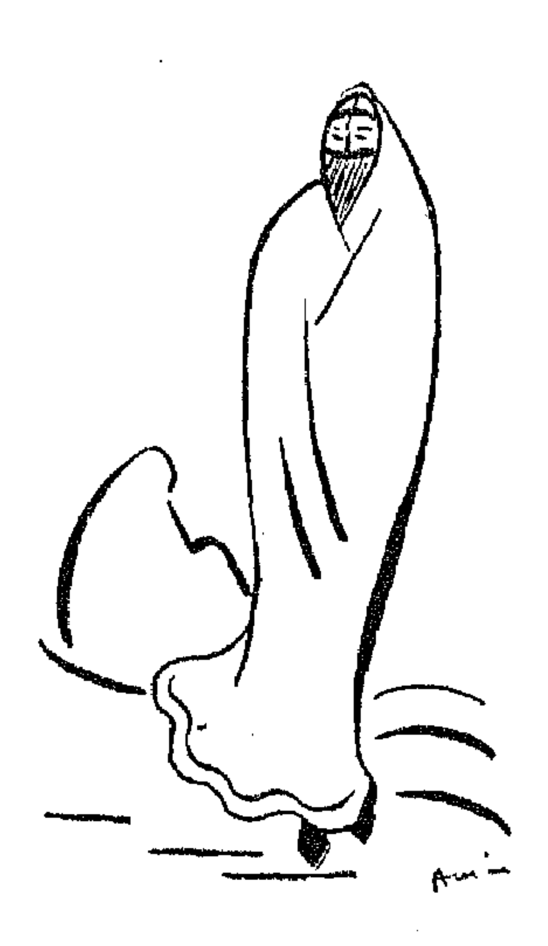
قريب لأن إقبال الشبان على الزواج ضعيف جدا لعوامل عديدة سبق أن تعرضنا لها، ولا حاجة الى إثارتها من جديد . ثم إن صديق هـذا الذى كان مثالا للشبان ولم يشرب الخمر فى حياته قـد شربها بعد تلك الصـدمة المؤلمة، وللخمر ما وراءها . وقد حاولت عبثا أن أعزيه فكان لا ينفعـُهُ العزاء . فانظـر إذن الى أى حدّ تكون التقاليد وبالا على أسرتين وتكون حائلا دون تشييد بيوت كريمة تقوم على الحب الطاهر والتفاهم الشامل، لأن صلة الأسرتين كانت ولا تزال متينة لم تفصم عراها هذه الصدمة وإن كانت قد مزقت قلبين .

فهذا الوالد المتعصب إنما يسىء الى ابنتـه الصغرى إساءة لامحل لها، لأنه يحرمها رزقا حلالا ساقه الله اليها وليس بالرزق الضئيل . لأن طبيبا يربح خمسين جنيها فى الشهر، ولمـا يمض على تخرّجه فى كلية الطب عامان، له مستقبل بسّام بغير نزاع .

وأمامنا حوادث عديدة تدل على أن كثيرات من الفتيات قـد عشن عوانس فاتهن سن الزواج وحرمن الى الأبد الحنان

والحب والأمومة بسبب هذا التعصب لتقاليد ليس لهـا وزن ولا قيمة أمام العقل السليم .

مثل هـذا الوالد إذًا مخطئ مسيء ، لأنه يغتصب سعادة فتاته باسم أختها دون أن يكون له أو لأختها الحق فى هـذا الاغتصاب . فهو آثم إذًا فى حق الأبوة ، وفى حق المجتمع ، وفى حق الفضيلة .



خذوا عن السودان !

وقف صديقنا الكاتب المحبوب الأستاذ فكرى أباظه المحامى يحاضرنا فى الجامعة الأمريكية عن مشكلة الزواج فقال : إنه مضرب عن الزواج لأنه رُفض أربع مرات . أول مرة أراد أهلها «جاردن سيتى أو هليوبوليس» لا الزقازيق محل عمله . والمرة الثانية أرادوه قاضيا موظفا لا محاميا حرا . والمرة الثالثة أرادوا أن تدخل الفتاة لصغر سنها عند أهلها لا عنده وحده . والمرة الرابعة، وهى بيت القصيد وفضيحة للأخلاق العامة، أنه اتفق على كل شىء وتحدد (كتب الكتاب وتعلية الجواب) فما شعر إلا وقد جاءته قبل الموعد بأسبوع دعوة لعقد زواجها من شاب أغنى منه !

ففكرى أباظه الذى يكتب بهذا الأسلوب العذب، ويتكلم بهذا اللسان الفصيح ، وهو أخف الناس روحا ، ومن أشرف العائلات المصرية العريقة، وهو حائز لشهادة عليا، ويتولى

عملا نبيلا يدر عليه خيرا كثيرا ، وهو بعد هذا كله رجل كامل الرجولة ، يتفق معـه على كل شيء ثم يخان عهـده من أجل عشرة أو عشرين جنيها فى الشهر ، ومن أجل مائة جنيه زيادة فى المهر . يا للعار !

واسنا فى هذا الصدد بحاجة الى ضرب الأمثال للنـاس من الغرب دائما ، فمـا زال الشرق بحمد الله مصدر الحكمة والنور . واليوم تتلق مصر عن السودان درسا بليغا جدا ، فإن عينا من أكبر أعيانه ، وسـيدا من أشرف ساداته ، وغنيا من أعظـم أغنيائه هو السيد عبد الرحمن المهدى قـد احتفل فى ٢٥ نوفمبر بعقد قران نجـله السيد الصديق افندى الطالب « بكلية غردون » . وقد رغب سيادته فى تجديد سـنة النبي صلى الله عليه وسلم فى تسهيل الزواج بتقليل قيمة الصداق ، فمهر عروس ولده ، وهى ابنـة شقيقه ، بجنيهين (٢٠٠ قرش ! !) تضاف اليها ثلاثة جنيهات رسما للجهاز .

والظاهر أن هـذا العمل أحدث فى نفوس الحـاضرين أثرا عظيما ، وكان أكثرهم ممن ينتمون الى أسرة المهدى بالروح

أو بالدم ، وقد أحجموا عن الزواج بسبب غلاء المهور ، فانتهزوا فرصة هـذا الحادث وأخذوا يتبارون فى مصاهرة بعضهم بعضـا .

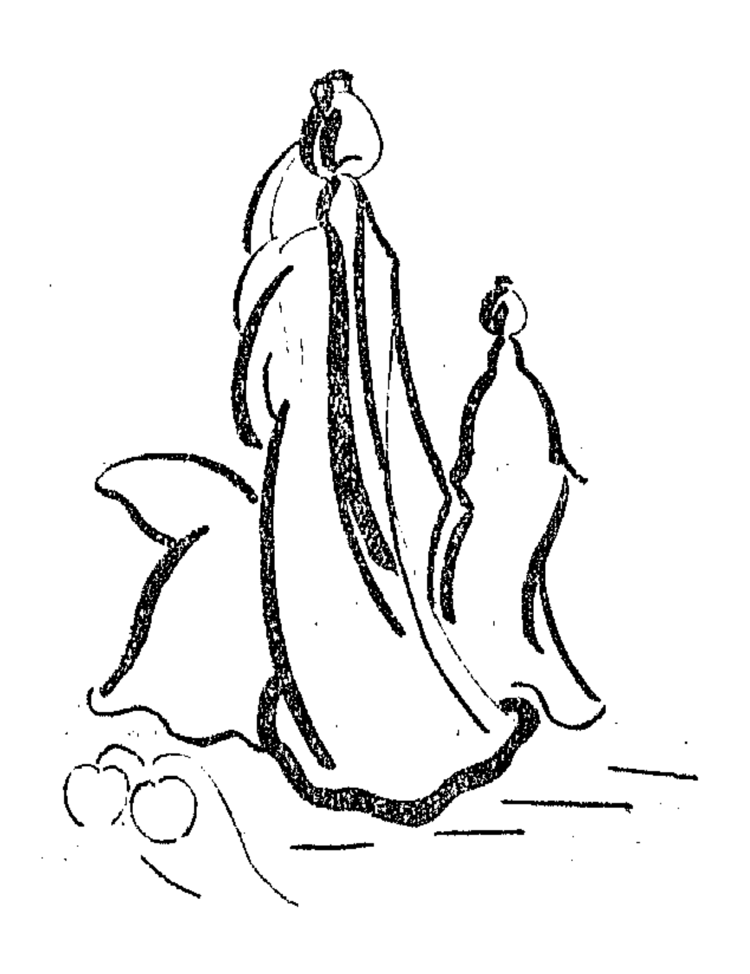
قالت « حضارة السودان » وهى الجريدة التى روت هذا الخبر : « وفى هذا المجلس تم عقد الزواج المبارك لـ ٤٥ شابا ، وقد اتصل بنا والجـريدة ماثلة للطبع أن العقود استمرت ليلة البارحة حتى وصلت الى ٥٥ عقدا ، ولاتزال مستمرة الى صباح هذا اليوم السبت ٢٦ نوفمبر ١٩٣٣ » .

فانظر إذًا الى هـذه المناقصة النبيلة بين هؤلاء الأشراف الكرام الذين اتبعوا سنة نبيهم ، ولم يجعلوا المهر والجهاز غرض الحياة الزوجية ، وانما هو سنة لا إرهاق فيها ولا تعجيز معها ، ولم يكن المهر يوما من الأيام أو الجهاز ضمانا للسعادة .

نحن نخجل إذًا من المـزادات التى تقام بين العرسان لتخاطف البنات ، ونأبى حفظا لكرامة بناتنا ولكرامة أشرف رابطة فى الوجود أن يكون شأن الزوجة فيها شأن ايجار الأطيان

فى الدوائر أو شراء الأثاث القديم يدق على بابه ناقوس ، وينادى عليه المنادى .

وهنيئا للسودان هذه الحضارة الجديدة التى يرسمها للشرق كله ، ونرجو أن تأخذ مصر منها نصيبا ولا تخجل ، فما برح السودان شقيقها ، ومن مفاخرها أن تأخذ عنه حينا ويأخذ عنها حينا آخر .



شيخ العزوبة

هل يكون الكاتب يوما ما فى إجازة فعلا ؟ أعنى هل يكف عن التفكير فى قرائه ولو سكت عنهم وظل فترة من الزمن لا يخط لهم حرفا ؟ كلا ، لأنه فى تلك الأثناء يقرأ وينظر ويتأمل ويختزن لهم فى زوايا نفسه وخبايا فكره ما سوف يطلعهم عليه بعد حين . فما أخذه منهم اليوم يدفعه لهم غدا مضاعفا . وإنى لمدين لطائفة طيبة منهم تكرمت على بالرسائل حتى اليوم الأخير من إجازتى كما فى يومها الأول . وكنت أحسب أن الكاتب لا يكاد يسكت حتى ينساه قراؤه فلا يسألون عنه غاب أم حضر ، أقبل أم هجر ، عاش أم مات ! ...

أليس البعيد عن العين بعيدا عن القلب ؟

هذه هى الحال عند الذين يأخذون بالظاهر ويتعلقون بالحاضر ، أما الذين يغزون القلوب بإخلاصهم وولائهم فإنهم فى القلب مهما بعدوا . والقصص القديمة تروى لنا حكاية

« بنيلوب » التي غاب عنها زوجها « عوليس » وتكاثر عليها طلاب يدها للزواج، وهي تعتذر اليهم تارة وتمنيهم أخرى، وتعدهم بأنها ستختار منهم واحدا عند ما تفرغ من تطريز نجم بدأت بتطريزه على قميصها . وظلت تفتق في ليلها ما تحيكه في نهارها حتى عاد زوجها الحبيب بعد عشرين سنة. لهذا ضرب المثل بإخلاص « بنيلوب » .

وهذا « قيس» ، أو لم يظل ينشد خيال « ليلى » في رمال الصحراء التي لا نهاية لها حتى أضناه البعاد وأفقده الرشاد، وهي ما زالت ملء نفسه حتى الرمق الأخير ؟

وهذا « عنترة العبسي » أو لم يظل يحب عبلاه و ينشدها و يراها في ميدان القتال في الوقت الذي لو غفل فيه لحظة واحدة لطاح رأسه ، فيرى صورتها على حدّ سيفه، ويخيل اليه أن لمعانه من لؤلؤ ثناياها، وأن دم الأعداء من حمرة شفتيها ؟

ففي الصداقة والمحبة يجب أن نمضي الى أبعد غاية، لأن هذا هو الذي يشعرنا بأننا إنسانية حساسة تنبض قلوبها

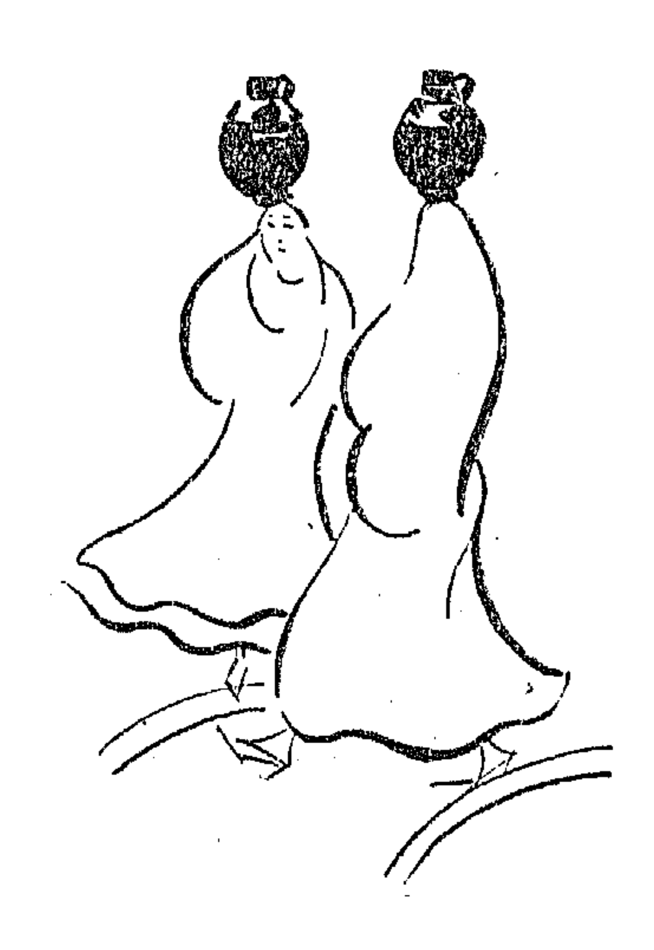
بالحياة ، بالحياة الحافلة الموفورة ، فنتغلغل فيها ولا نعيش على هامشها ، فالحياة كما يقول « دزرائيلى » : « قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة » .

و بضع الرسائل التى وصلتنى من قرائى أثناء عزلتى وراحتى قد أشعرتنى بوجود تيار روحى بينهم و بينى . وهـذا التيار هو الذى يجعـل الكاتب يطمئن الى أن مِنْ حوله عناصر طيبـة كريمة يقظة ، و يشـعر الكاتب بأن له من قرائه أسرة تحبـه وتحوطه بعطفها وحدبها وتذكره ، و يشعره فوق ذلك بأن عليه دينا واجب الوفاء لهذه الأسرة .

وفى هـذا الوفاء أيضا هناء الكاتب ، لا ، إن كلمة الهناء كبيرة جدا ، أريد أن أقول : عزاء الكاتب ، مهما كان مشغول البال أو شقى الحال . أليس ممـا يدعو الى الابتسام ذلك السؤال الذى جاءنى خلال إجازتى : هل يكون سكوتى راجعا الى أننى فى شهر العسل ؟ ! وردى على ذلك اننى اليوم أبعد عن هذا الشهر منى فى أى وقت مضى . وعلى العازب أن

يحب عزوبته، وعلى المتزوج أن يحب حياته الزوجية . لأن الضجر والتململ من إحدى هاتين الحياتين هو سر الشقاء .

إننى غيور من صديقنا العلامة الكبير أحمد زكى باشا «شيخ العروبة» وأريد أن أكون يوما ما شيخ أى شىء، ولو « شيخ العزوبة » ! ...



النصف الأفضل

«رأيتك مغرما بالعزوبة وبترديد ذكرها ، ورأيتك يوما تمنى لو أصبحت شيخها . وأنا فرد من الناس معجب بك متتبع قولك مترسم خطاك . ولكن لما أن رأيتك تنأى بجانبك عن أن يكون لك زوجة لم أسلمك قيادى ولم أرض لنفسى أن تنضوى تحت شياختك ، إذ لم أفهم للآن ما تنطوى عليه سريرتك نحو حليلة تشاطرك حياتك وتهبها قلبك . وأنت على ما أظن لست بالمحب الذى يرى فى الزواج مقبرة لحبه ، ولا بالعابث المستهتر الذى يرى فى ميادين النساء ما يصده عن الاستئثار بواحدة منهن ، إن أضحكته يوما فقد تبكيه أياما . ولا بذلك الذى يرى البيت حائلا بينه وبين الناس ، فلا أخذ ولا رد ، ولا بحث ولا تنقيب ، ولا تلمس أسس السعادة وأساليب الحياة الصحيحة التى طالما أجهدت أعصابك من أجلها ياسيدى الأستاذ ... أنت مقبول شكلا ، ولو كنت لم أتطلع اليك وأرى صورتك إلا على صفحات الجرائد . وأنت عبقرى نابغ فلا يمكن لمسألة اجتماعية — وأنت الاجتماعى الكبير — كمسألة الرابطة الزوجية أن تتعارض مع طبيعة نفسك حتى تتطلب شياخة العزوبة وتتمناها بحرارة . أنا أثق بأن امرأتك سوف تحبك ، وسوف تفسح أمامك ميدان المجد والشهرة ، وأنت ولا شك ممن يحسنون الاختيار ، فخذها عربية أو أعجمية وإلا فاشرح

لى ... فإما (علبة ملبس) على قدر الحال تفوز بها منى و إما أن أتبعك للنهاية ، و يكفينى عزاء أنى أتبع شيخا يتحرّق للمرأة و يتهافت عليها و يذوب من أجل سعادتها و جمالها ، وهو منها كما قال أبو نواس :

* فى كفه الكأس يهواها ويخشاها *

الابراهيمية رمل : سيد اسماعيل صبحى



أريد أولا أن ألفت نظر أخى الأديب كاتب هذه الرسالة الرقيقة البليغة ، الى أنى لست لسوء الحظ أو لحسنه « شيخ العزوبة » فى أسرة « الأهرام » ، فإن فيها أساتذة لنا وأصدقاء وزملاء يتجاوزون العشرين عدا ، وكلهم من العزاب المتعصبين ...

أما عن نفسى ، فأقول لكم الحق انى رجل لا يهمنى جمال ولا علم ولا مال ، فقد رأيت من هذا كله الشيء الكثير ولم يغرنى ، لأنى من ذلك النوع البوهيمى الذى يظل عنيدا كأنه أصم أعمى ، وهو مع ذلك يشعر بكل شيء ، حتى تمر فى حياته امرأة ، امرأة واحدة ، فيرتجف و ينتفض انتفاض

العصفور بالمه القطر ، ويسلمها حياته ويسلس لها قياده . وسواء لديه سارت به الى الصدر أو الى القبر .

أما إن كانت تلك المرأة قد مرت فى حياتى أو لم تمر بعد ، فهو الوجه الوحيد من المسألة الذى أخفيه عنك وعن كل الناس ، لأنه لا يهم أحدا سواى .

وفى «الميتولوجيا» علم أساطير الأولين : أن « چوبيتير » رب الأرباب خلق بادئ بدء آدم وحواء فى جسد واحد ، وعندئذ ظهر له أنه قد خلق خالقا مثله يلد وينشر الذرارى فى الأرض ، فغضب وفى غضبته فصل آدم عن حواء بضربة واحدة ، ومن ذلك اليوم ظل كل انسان يبحث عن نصفه الآخر .

وفى سبيل هذا النصف الآخر نجوب الأرض ، ونرحل كالعرب ، ولا نستقر على حال من القلق حتى نجده ، اذا لم نكن قد وجدناه ، وحتى نتعزى عنه اذا كنا قد فقدناه .

أما بعد ، فأرجو لك الله يا أخى أن يتم نعمته عليك ، وأن (يلمك ويلم) كل حائر على نصفه الأفضل !

الزوجـــة الموافقـــة

رأيت فى حفلة الجمعية الدوليـــة لرعاية الطفولة ، بحديقـــة الأزبكية سلمـــا حديديا ضيقا مكونا من عشرات الدرجات ، منصـــوبا فى الهواء الى ارتفاع ســـبعة وثلاثين مترا ، فكأنه يناطح الســـحاب . وتحت هذا السلم حوض من الزنك مرتفع الجوانب ، عرضـــه متران ، ممتلئ بالمـــاء الى حافتـــه ، وحوله حراب مدببة .

وتجىء امرأة جميلة فتصعد الى منتصف السلم ، ويجىء رجل فيصـــعد الى منتهاه ... وتلقى المرأة بنفسها فى المـــاء ، ويتبعها الرجل بعد قليـــل من ذلك العاق الشاهق الهائل الذى ترتجف منه فرائص المتفرجين ! ...

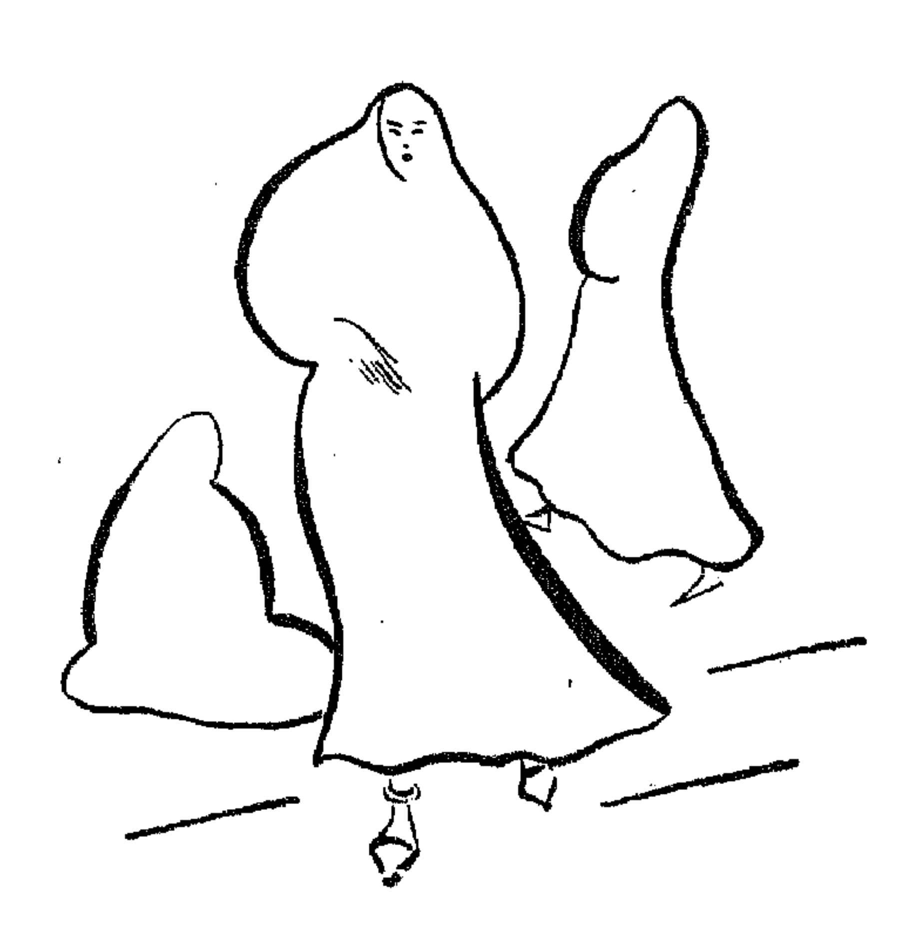
قلت : سبحان الله الذى وفق رجلا للحصـــول على زوجة توافقه على عقله ، وتوافقه على جنونه ! ... أليس الصعود على ذلك السلم الذى لا آخر له هو رمز الجهاد فى معترك الحياة ، هو

رمز التعاون على الخير والشر، على السراء والضراء، على أكل الخبز بعرق الجبين ؟ !

ومثل هذا المنظر قد شهدته فى لندن منذ سنوات. تصوّروا رجلا يابانيـا قد أوقف امرأته أمام لوحة، ثم أخذ يرشـق اللوحة بالسكاكين حول جسم المرأة من ذراعيها إلى رأسها إلى عنقها ليرسمها بهذا على اللوحة، والمرأة لا ترمش لها عين مع أنه لو حادت السكين مليمترا واحدا لأودت بحياتها، وكان هناك مئات الانجليزيات اللواتى لا يصبرن عادة عن الصـياح لأقل صورة فى (السينما) قد لزمن الصمت حتى صار المسرح كالقبر.

مثل هـذا التعاون فى الحياة هو مثال مجيد للذين يضعون العقبات فى سبيل أنفسهم لأنفسهـم، ضيق وخطـر كساعة إلقاء النفس من أعلى السـلم الى حوض ماء صغير، أو ساعة رشق المدى، أو ما شابه ذلك ... هذه الساعات يجب أن تجمع القلوب وتزيد وحدتها وتقوى عاطفتها بدلا من أن تفرق بين أصحابها. وعلى المرأة أن تحب فى الرجل الذى ارتضته شريكا

لها ساعات جنونه أيضا ، إذ لا يجدر بها أن تكون من الأنانية بحيث تتمتع بطيبة قلبه وعذب حديثه وثمرة جهده ، ولا تكافئه ، فى الحين بعد الحين ، تسامحا عن نزواته الطائشة ، بل وحبا كريما لحال الضعف هذه التى تطرأ عليه بما اكتسبه فى دمائه عن أسلافه ، وبذلك لا تكون الزوجة فقط ، بل تكون الأم أيضا .



جنـــــة البيت

طالمـا تحدثنا عن محيط البيت الذى يجب أن تؤلفه المرأة مطبوعا بطابع شخصيتها ، وقلنا أن لوحة زيتية أو بالطباشير الملون أو بالحبر الصينى أو بقلم الرصاص فى ركن من أركان الغـرفة تجعل لهذا الركن معنى ، وكذلك الأشغال اليدوية . والى هذا كله نجد أن العناية بذلك تعد ، فضـلا عن الفائدة المـادية ، رياضة نفسية ثمينة .

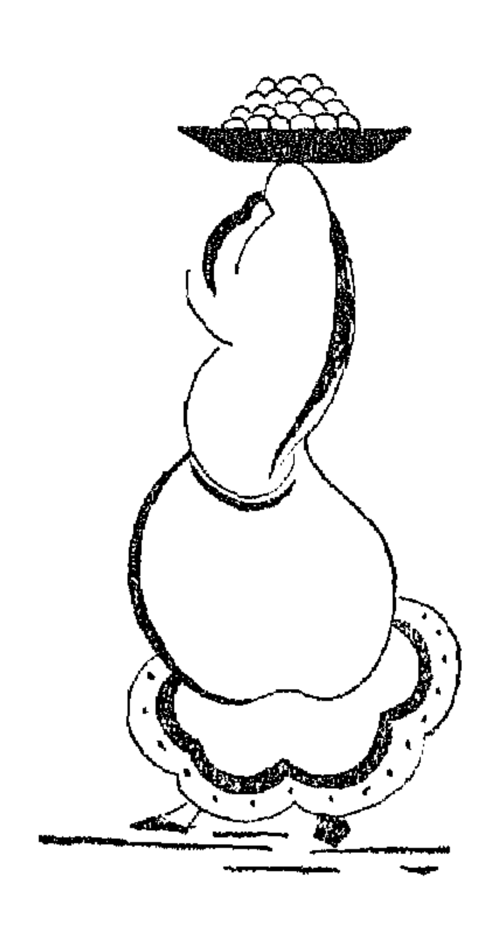
سكنت مرة عند أسرة سويسرية ألمـانية فيها فتاة تناهز السابعة عشرة . فى الصباح تساعد أمها فى تنظيم الأسرّة وترتيب البيت . وتخرج مع عمتهـا الى السوق لتـدرس البيع والشراء وتتمرن على الأخذ والعطاء . وتعود لتجلس الى كتب القانون سـاعة وبعض ساعة . وبعـد الغداء تأخذ فى التصوير على (شال أو كيمونو) فتجعل القماش التـافه قطعة فنيـة قيمة يدفع فيهـا جنيهات . وفى الأصيل تعزف على (البيانو) وتقرأ

فى الأدب والفلسفة أو تفصل ثوبا أو (بيجاما) . لا تزور ولا تزار إلا لماما ، مرة كل خمسة عشر يوما على الأكثر . وكنت أسكن عندهم مع شاب انجليزى هو آية فى جمال الخلق والخلق ، يجيء أو يخرج فلا ترفع رأسها أو تنظر وتلتفت . فاذا أقبلت عليها تحدثها نهضت فى أدب وابتسام وخفر يفتن القلوب . يستحيل على «دون جوان» أن يجد عيشا عندها ولا ماء . لم تكن بحاجة الى (الليسانس) فى القانون لأن لها فى المصرف خمسة آلاف جنيه ، ولكنها لا تجد معنى لضياع وقتها وعدم تنوير فكرها . ففى العمل وحده هناءتها . وعند ما تفتح باب المسكن تجد الجدران مغطاة بصور من ريشتها ، وتجد الدمى فى أثواب فضفاضة من طراز لويس الرابع عشر قد اضطجعت على الأرائك والمقاعد تنظر اليك من تحت أهدابها الطويلة كأنها تريد اختلاس أسرارك ! ... هذه الدمى هى أيضا صنع يدها . وهى تحبها وتداعبها وتجالس أحيانا تتحدث اليها وتسرها النجوى ، ونجواها بريئة . انها حتما تنتظر الرجل مثل كل فتاة ، ولكنها تنتظر الزوج لتحبه .

تقول ان حبيبي هو زوجي ، أما الذي يضن على باسمه فاني أضن عليه بقلبي . وهي لا تجلس الى النافذة ثلاث ساعات ، ولا تقضي في الشوارع ثلاث ساعات أخرى ، ولا تقضي في الزيارات (البائخة) ثلاث ساعات أيضا ! ... انك تجد أحيانا فتيات في الطرقات كأنهن تائهات ، كأنهن هاربات من بيوتهن ، كأنهن ينكرن وجود أهلهن ، كأنهن يبحثن عن شيء مجهول ، عن رجل مجهول ، يتخبطن بين المحلات التجارية ويشترين أشياء تافهة ويرجعن الى البيت بقطعة من (الدنتاله أو مترين من الركامة أو زجاجة كولونيا) وقد لا يكون بهن شيء فيذهبن الى الطبيب متمارضات لتتاح لهن فرصة الحديث . ومثل هذا الفقر الأدبي يرثى له . ويحسن بالكريم أن يخفي جوعه . ويخفيه بين جدران بيته . ويأخذ بالمسليات النبيلة التي تجعل الزمن يمر بلذة وفائدة ومتاع وثقافة ... أعود فأقول :

الموسيقى وشغل الابرة والتصوير والمطالعة ... فاذا كان للفتاة أخ صغير وعنيت بتعهده وأشرفت على تربيته ، ووجدت

مزاجا فى تهذيبه بدل (تدليعه)، فانها تكون قد جمعت الفضائل المنشودة فى الفتاة الجـديدة العصرية ، الفتاة الجادة الأمينـة الطاهرة ، لا الفتاة الهـازلة الهزيلة التى تهز وسطها فى حلبـة رقص قبـل أن تكون قد عرفت أو عملت من كل ما ذكرنا شـيئا .



أثاث البيت

نقرأ أحيانا ، ان لم يكن كل يوم ، فى جريدة يومية (محجوزات) توقعها المحال التجارية الكبرى على أسر كريمة ، ونقرؤها تحت عنوان كبير : « بيع منقولات » . وتحديد اليوم والساعة والمكان ... الخ .



وهذا محزن حقا ، ولكنه درس بليغ لمن يغالى فى شراء الأثاث والملابس ، فما زالت البيوت المصرية تحرص على الاستزادة من (الموبيليات) ومن الأقمشة ، وهذه قاعدة قديمة كنا

نرجو أن يأتى عليها التقدم العصرى ويبطلها ، فهى تتنافى مع ضرورة الاقتصاد أولا ، ومع الذوق السليم ثانيا . وليس أمرّ على النفس من أن تستدين الأسر الكريمة ثمن الفراش الذى قد لاتكون فى حاجة اليه كله ، فهى قدّرت لنفسها المقدرة على الدفع من حساب أطيان لم تدرّ عليها شيئا . ولم ترحمها تلك المحال التجارية رغم ما كانت تبديه لها من الصداقة والوداد .

فجميع الذين يشترون بضاعة كثيرة ، أو يتزوّجون يفرشون بيوتهم بالدين على أقساط ، يخطئون خطأ فاحشا لا سيما إذا كانوا يعتمدون على ايجار أطيان أو بيوت ، لأن ايجار الأطيان الآن أصبح كالعدم والبيوت قد تخلو فى تلك الأثناء وتظل خالية وتستحق الأقساط ويقع المدينون فى حيص بيص فما بالك اذا كانا عروسين بنيا عشهما الجميل على هذه الطريقة ! إن مجرد وقوع حجز كالذى ذكرناه يعد كفيلا بالقضاء على الحياة الزوجية .

وكثير من الناس عندنا يشترون أثاث بيوتهم دون دراسة فنية ، فلا يعرفون ضرورة انسجام حجم الغرفة مع لون الحائط ونوع الأثاث . بل مع موقع البيت نفسه وشكله وحجمه إذا

كان (ڤيلا) أو شــقة . بل هم يأخذون الأمر (جهجهون) فيخطئون . وقــد تطور الذوق العالمى حتى أصــبح الأثاث الآن لا يشترى من صنف واحد، بل يُجمع فيه بين القديم «الكلاسيكى» وشيء من الحــديث غير المتطرف . والبيوت العريقــة لا تحب شكل الأثاث الجــديد ؛ والانجليز أنفسهم لا يفرشون بيوتهــم ، ولا سيما غرف الطعام ، إلا بالطراز الانجليزى العتيق الذى يشبه القروى ، وهو دون شك جميل جدا وله لون مستحب ترتاح اليه النفس . وكل هــذا الأثاث ليس أغلى الأثاث ، ولكنه أكثره ذوقا وألطفه وآنقه ويجوز أن يوصى به الصانع المصرى المــاهر ، طبقا للكتالوجات الأوربيــة .

وليس عارا أن يبنى الخطيبان بيتهما مقعدا مقعدا ، ويشتريا اليوم منضدة وبعد أســبوع أو شهر سريرا ، وهكذا حتى يتم الأثاث ، وانما العار أن تتغلب (النفخة) الكاذبة والغرور فيشترى فرش البيت كله بالدين والتقسيط ، وبعد شهرين أو ثلاثة يحجز التاجر عليه ويبيعه أمام العدو والحبيب ، وينشر ذلك فى الصحف ويعلنه على المــارة فى الطرقات بواسطة ذلك (الشيال الأعمش الكلاسيكى) أيضا الذى يدق الجرس ويقول : (حراج . . مزاد) .

جيــل وجيــل !

أنظر الى سيدة مصرية تسير وفتاتها فى الطريق، تندهش للفرق الهائل بين الأم والبنت، فى الزى، فى الحركة، فى النظرة، فى الجسم كله ...



هـذا هو الفرق بين ذريتين : ذرية كانت صالحة متواضعة بسيطة تحب البيت وتعبد الرجل وتتق الله فى الشرف والولد ... وفتاة اليوم تتمرد على غير أساس، الثورة فى روحها

بالرغم منها ، لانها نتيجة حتمية لتطوّر الأيام وتقــدّم الصناعة والحضارة والاندفاع فى الحرية . توجد فتيات تنطلق عيونهن بما يحير العقول والأفهام، فى نظراتهن معان مدهشة للحيرة والتذمر ونفاد الصبر والرغبة فى الانطلاق، وأحيانا الرغبــة فى استمرار التضــحية . هؤلاء الفتيات معذورات لأنهن أدركن أشــياء شعرن باستحقاقهن لها مع حرمانهن منها .

الزى قد تحول من ثوب أسود يضرب على البــدن، كأنه سجن لا نوافذ فيه، الى ثياب خفيفة بهيجة ملونة أنيقة ...

الرأس ــ وكثيرا ما يكون رأس المصرية جميلا ــ كان يلف فى منديل أو يغطى بالملاءة أو بالطرحة أو بهــذه كلها . أما الآن فقــد أصبحت (البريه) المعوجة الى جانب تكشف ثلاثة أرباع الرأس، وتحسر عن الشعر المعتنى به، فتزيد جمال الرأس وتصغره حتى كأنه رأس الحمام ! ...

الحركة، كانت بالأمس مضطربة خجلة تتعثر بها القدمان، أما الآن فالفتاة تسير وتعرف أنها تعجب النــاس ولا تهتم ولا تكترث، وهى بذلك تزداد فتنة .

الجسم ، كان كتلة واحدة من الشحم واللحم لا تناسق فيه ، لا تعرف الخصر النحيل من الردف الثقيل . أما الآن فالفتاة تلعب الألعاب الرياضية ، وتسير فى الهواء الطلق ، وتستحم فى البحر ، وهذه كلها تزيد فى صحتها واستعدادها باعتبارها أم المستقبل .

أما الفكر فهو أعظم ما تطور . بالأمس كانت المرأة المصرية تأكل مع ضرتها وحماتها وأخت زوجها (ثلاث مصائب !) فى صحن واحد . كان الرجل سيدها ومولاها ، اذا دخل ساد الصمت ووقفت نساؤه كالجوارى بين يديه فى ذل وخشوع ؛ أما اليوم فالفتاة المصرية تجلس بحضرة أبيها كأنه صديقها ، ليست قليلة الحياء ولكنها موفورة الكرامة ، وهى كثيرا ما تستحق التقدير والتكريم . مثال ذلك فتاة اليوم ، بطلة اليوم ، أستاذة اليوم : الآنسة نعيمة الأيوبى التى حازت (ليسانس) الحقوق وقدمت طلبا لقيد اسمها فى جدول عموم المحامين ؛ وهو حادث فذ فى تاريخنا الاجتماعى .

ثمن الحـــــرّية

في البلاد التي تحبو الى الحرّية يكثر الترعزع الاجتماعى ، كالرجل الذى يظل محجوب البصر بعد عملية جراحية في عينيه ، لا يستطيع أن يواجه النور ، فهو في حاجة الى بصيص ضئيل ، يتزايد شيئا فشيئا ، حتى يجىء يوم يواجه فيه الشمس الساطعة .

مثل هـذا ينطبق على بلادنا فنحن في دور تطوّر عنيف خطير ، تنقلب فيـه تقاليدنا حتى تصبح في بعض العيون مثارا للضحك ، في دور تحول كالفتى في سن المراهقـة . مثل هذا الدور بحاجة الى التبصر الشديد لأن الحضارة التي ننشدها يجب أن نفهمها لندركها . وفهمنا لها الآن غامض ، لأننا نعيش أفرادا لا رابطة لهم ولا صلة بينهم . الأم لا تفهـم البنت ، والأب لا يفهم الولد ، والزوجة لا تكاد تعـرف زوجها وتدرك من عمله وماله وفكره شيئا ، نعيش مفككين ، نعيش كالأشـلاء المبعـــثرة .

لذلك لا يسع المتتبع لتطور المجتمع المصرى إلا أن ينظر بإشفاق الى ما يراه من إسراف فى التبذل . وليس «ستانلى باى» إلا من رموز هذا الإسراف، لأنه الآن مجتمع فى نصف دائرة ستانلى باى ، ولكنه غدا ، بعد انفضاض الموسم ، ستسرى روحه فى كل مكان، سيكون بمثابة عملية تلقيح واسعة الأطراف . إنه تلقيح بالداء لا بالدواء .

المرأة الأوربية التى تقلدها اليوم الفتاة المصرية هى امرأة من بلاد عريقة فى الحرية، حرية اشترتها تلك البلاد بدمائها، وكانت فى مقدّمة الصفوف النساء . والمرأة الأوربية تعرف كيف تنظم بيتها ، وكيف تطرز ثوبها ، وكيف تعيش بالمليم والدانق ، وكيف تربط ميزانيتها ، وكيف تربى الى جانب هذا كله وقبل هذا كله ولدها . فهى اشترت حريتها بثمن باهظ، اشترتها بما بذلته من دم وتضحية وجهاد . إنها اشترت الحرية على مدى أجيال . أما هنا فالفتاة المصرية التى تعتقد نفسها آية الايات فى الرشاقة والأناقة، والتى بدأت تقتبس «البيجاما» الساحلية الفضفاضة، وتكشف عن فخذيها ونهديها وظهرها

وصدرها ، والتي تعرف كيف تحدج من وراء الجفون بنظرات معســولة فيها السر والخفاء والإغراء ، والتي تحسن الرقص الحديث ، وتعرف كيف تتلاعب بالألفاظ والقلوب ، هــذه الفتاة الحديثة العهد بالحرية ، هل تعرف ثمن ما تنشده ؟ !

كلا ، لأن هــذا الثمن يكلفها العــذاب والألم ، وهى غير مستعدة ، لأن الجوّ الذى تعيش فيه يريدها على القفز والتنقل ، يريدها على عدم الاستقرار ، فهى لا تستقر ولا تصبر على الخير ، وهى لذلك قلما تشعر بالسعادة . إنها فى تنقلها المبتذل كالذى يتعاطى مخدّرا ، يغيبه ساعة ثم يستيقظ ليعانى الآلام ...

حرية الفضائل

تحدثنا أمس عن الحرية، حرية الفضائل والعمل الجد، وقلنا : إن هذا هو معناها وليس هو الانطلاق وراء الشهوات والنزوات . ولكننا من الجانب الآخر نجد بعض الآباء يسرفون فى التشديد على بناتهم تشديدا هو من الخطورة بمكان ، لأنه ينبه ذهن الفتاة الى أشياء لم يكن يحسن تنبيه ذهنها اليها . وهو يشعرها أن وراء جدران البيت المطبقة عليها باستمرار شيئا آخر فيه البهجة والمرح والمتاع، مع أنه قد يكون فيه الويل كله . وهى لذلك ينفد صبرها ويبدأ تمردها . فإذا كسرت قيودها بعد ذلك وانطلقت على فرعها فليس الذنب ذنبها وحدها، لأن شدة الضغط تولد الانفجار . وهى نظرية فى الطبيعة ثابتة لا تخيب .

فالرجل الذى له بنات الآن فى ضيق لا يدرى كيف يفعل . يجد الحرية لها عواقب وخيمة، وهو بشدة حرمانه بناته من الحرية غير مطمئن البال . انه فى موقف يرثى له ، لأن الأبوة

فن ، فن عظيم . لا يستطيع كل رجل ان يكون والدا ، وخصوصا ان يكون والد بنات .

لو كانت لى بنت لصادقتها وفتحت عينها للوجود ، وصحبتها الى كل مكان أسمح لنفسى بالذهاب اليه ، وما أخفيت عنها شيئا ، ولعرفتها منذ نعومة أظفارها ما أعرفه من سر الحياة ، وما أعرفه من خدع الرجال ، وما أعرفه من غش العالم ، وما أعرفه من حوادث يشيب لها الولدان ، وأفسر لها كل نظرة وما ترمى اليه ، وغاية صاحبها ، وكيف تحكم هى بدورها على ما تراه من وجوه ونظرات ولفتات وحركات ... وهذه هى الدروس التى تكونها ، وهى بمثابة التطعيم ضد الفساد المنتشر حولنا ، المتطاير فى الجو مع الذرات ، الممتزج بالشمس والهواء .

أما أن أحبسها وأقفل النوافذ وأحرمها (السينما) والخروج ، فبمثابة الحكم عليها بأنها ليست لها شخصية ، ولا كرامة ، وليست جديرة بالوثوق بها ، ولا بالاطمئنان اليها ، وأنها فتاة قلبها هواء لا تعرف الخير من الشر .

وهذه مسبة يجب أن يرفع الأب فتاته عنها ، مسبة فى طريقة تعليمه إياها وتأديبه لها ، مسبة لأصلها وأخلاقها . ثم هى إنكار للفضيلة فيها . واعتراف بأنه إنما (يرسرسها و يصمغها و يصلبها حتى يلزقها للعريس) .

ومهنة الأب أشرف من ذلك ، وواجبه أشدّ عسرا وعناء ، ومسئوليته أعظم .

فالأب الذى يترك بيتـه خمس عشرة ساعة فى اليوم ولا يدخله إلا ليأكل و ينام و يأمر و ينهى هو الأب الذى يضـيع على فتياته جانب العناية والولاية والموعظة الحسنة . فإذا ورّثهن بعد ذلك مالا وفيرا كان لهن مفسدة ، لأنه مال بغير أساس . فاذا أغلق من دونهن النوافذ والأبواب فهى حيلة الضعيف ، المتهاون ، الجبان ، الذى يزعم انه حريص شجاع ... وربما راعه يوما ما تكسير تلك السلاسل والأغلال بشكل يدعو الى الرثاء ، حتى رثاء أعدائه له .

الأجار الزائفة

في الأسبوع الماضي رأى أحدهم سيدة تنزل من سيارتها وتدخل متجرا كبيرا في محطة الرمل وهي لابسة (البيجاما) فكتب رسالة بذلك الى «الغازيت» مستنكرا ؛ فاحتج عليه آخر طالبا ترك الناس أحرارا ؛ فرد عليه الأول يسفه فكرة الحرية عنده .

أقول لكم الحق إن الانسان المهذب ، سواء أكان رجلا أم امرأة، يتردد في أن يظهر في الشرفة (بالبيجاما) ، فما بالك بالنزول بها في الطرقات ، ودخول محل عمومي للبيع والشراء !

يقول الحكماء : إن من ليس له ستر يخفيه فلا جمال له يبديه . والمقصود بالستر هنا ليس الحجاب الذي يجعل المرأة في شبه سجن متحرك ، وإنما هو ستر ما يحسن ستره مع حشمة الحركة والإشارة . فالمرأة التي تسير تلتفت عن يمينها ويسارها ، وقد كشفت عن صدرها وظهرها ، لا تتبعها إلا عيون الدهماء ؛

لأنها لا يمكن أن تقع موقع الإعجـاب من قلب الرجل الذى يعرف سر الجمال والجلال .

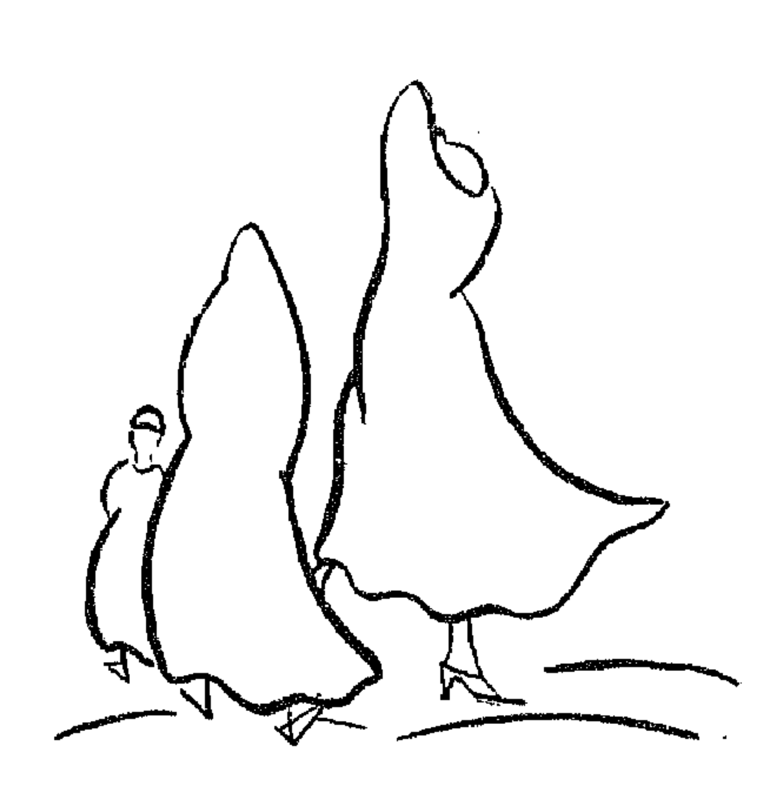
لذلك لا تجـد منظر النســاء على شاطئ البحـر نصف عاريات يبهر إلا السـذج ، بينما تجد التى تخفى منهن أكثر ما يمكن إخفاؤه من جسمها هى التى تلفت الأنظار — الأنظار التى تقـدرها النساء وتتأنق عادة لهـا ، وتحسب حسابهـا دون غيرها .

وفى أوربا الآن أو بالأحرى فى باريس ، لأن باريس هى سيدة (الموضة) التى تفرضها على العالم ، تقوم حركة عنيفة ضد (البيچامات) . وبعد ما كانت فى العام المـاضى تغطى الشواطئ وتلبسها ألطف النساء ، دالت اليوم دولتها أو كادت ، وسرى شعور استنكار لها كما تقول جريدة « الطان » نفسها .

فهذه السـيدة التى نزلت من سيارتها فى محطة الرمل (بالبيچاما) ، ولو كانت أطهر النساء ، تعرض سمعتها حتما للألسن تلوكها وتذكر عنها السوء بالحق أو بالباطل . فلا يمكن تفسير

عملها إلا بأنه إعلان عصبي عن بضاعة يزهد فيها الناس . ولو أنها كانت جميلة حقا لاحترمت جمالها ، فالجمال له حرمة يرعاها أهله ، ولا ينتهكها إلا الطائشون .

ولكن نعود فنقول : إنه لا بد من هؤلاء الطائشات فى كل مجتمع ، لأنهن بمثابة الأحجار الزائفة يعرف المرء بسهولة الى جانبها الأحجار الكريمة .



رسالة المـــــرأة

من الحفلات القليلة التي أسفت على أنها قد فاتتني بسبب مرضي حفـلة الاتحاد النسائي في «دار المرأة» التي استقبلت فيها السيدة النبيلة هـدى هانم شـعراوي طائفة من الفتيات النابغات كالآنسات : نعيمة الأيوبي وسهير القلماوي وفاطمة سـالم وفاطمة فهمي خليـل وكوكب حفني ناصف وهيلين سـيداروس وتوحيدة عبـد الرحمن ومنـيرة ثابت ولطفيـة النـادي .

وليس أحق من المرأة بتكريم المرأة .

وليس أحق من زعيمة النهضة النسائية بتكريم الصـورة المثلى للآمال العظيمة التي تجيش بصـدرها ، والتي كانت تمناها على دهرها . ولم يكن هذا التكريم في الواقع منحصرا في اللواتي احتفل باستقبالهن ، بل إنه يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا ، فهو تحية تشمل جميع اللواتي تخرجن في مصر وأوربا من المدارس

العليا ، واللواتى صرن الآن أمهات صالحات أو زوجات فاضلات أو مربيات كريمات ، وهو تحية تمتد الى المستقبل بالرجاء والدعاء ، الرجاء فى الجنس والدعاء للوطن ، الرجاء فى أن يكثر بيننا أمثال كوكب ناصف وسهير القلماوى ونعيمة الأيوبى وغيرهن ، يكثر بيننا العدد ، ويتميز بالنبوغ لا الوضاء والاكتفاء بالمستوى العادى ، ويتميز قبل النبوغ وبعده بالأخلاق الفاضلة .

فليست مهن المحاماة والطب والطيران والأدب بالتى تعد إذا تولاها النساء حاسمة فى حياة الشعوب ، ولكنها على أى حال رمز الى مساواة الجنسين فى التعليم والذكاء والتفوق والاحتراف .

وليس احتراف المرأة مهنة شريفة معينة بالذى يسعد المرأة أو يسعد الأمة ، لأن مكان المرأة ووظيفتها ودائرتها فى البيت أولا وفى البيت آخرا . فمهما كانت المحامية الضليعة فلن تستغنى ولن تستغنى بلادها عن أن تكون الزوج المخلصة والأم الرشيدة ، وهذا هو ما يجب أن تفهمه كل فتاة . فان أعظم ثمار التربية والتعليم وأعلى درجات الذكاء والحصافة إنما تدرك لا فى ساحة القضاء ، ولا فى غرفة العمليات ، ولا فى كرسى التدريس ،

ولا فى طبقات الجو ، وانما تدرك — بكل كبرياء وكل خضوع — أمام المهد ... مهد الطفل ، ذلك الذى انحنى أمامه مدوّخ الأرض وهازم الملوك وكاسر الجيوش «نابليون» فقال : إن من تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها .

وقد تقسو الطبيعة على بعض النساء قسوة أليمة فتحرمهن من زينة النساء أو لطفهن أو حنانهن ، وتجعلهن فى عالم موحش من الحرمان ، فهؤلاء يجدن فى العمل عزاء وأى عزاء . ولا غبار عليهن عندئذ اذا فكرن فى العمل دون الرجل . أما الأخريات اللواتى حباهن القدر بصفات جنسهن من رقة وحنان ودماثة فنحن بحاجة اليهن زوجات وأمهات أكثر مما نحن فى حاجة اليهن فى أية مهنة أخرى من المهن التى يمكن أن يحترفها الرجل .

اننى رجل يؤيد النهضة النسائية الى أبعد حدود التأييد ، ولكننى مؤمن بأن رسالة المرأة هى رسالة البيت .

صوت المرأة

فى الأقصر . فى بهو فندق كبير . فى جانب منه انكليز لا تسمع لهم صوتا . ثم دخلت سيدة مع زوجها فملأت البهو ضجيجا . تريد أن تستأثر بالحديث وأن تتكلم بصوت مرتفع جدا . جاء يخاطب زوجها رجلان فبادرتهما بما فعلت أمس وما فعلت اليوم . وتحدّثت عن الرقص والأكل والشرب حتى الساعة الثانية صباحا . وانصرف زوجها عنها وولاها ظهره يخاطب صاحبيه فجعلت تتدخل فى الحديث مع ذلك بشكل مدهش ولا تترك تعليقها .

هذه امرأة تفضح زوجها . هذه امرأة تدل الناس أوّلا على أن زوجها ليس له نظر لأنه اختارها، مع أن الدنيا ملآنة بالنساء . وهذه امرأة تفضح نفسها لأنه ظاهر أنها «محدثة» . وأنها مفتونة تتحدّث لا لنفسها ، ولا لزوجها ، ولكن للآخرين .

ليس للمرأة أن تتكلم همسا . ولكن أن تتكلم بصوت معتدل

موزون منسجم مع طبيعة المكان الذى هى فيه، ولا تتكلم بهذا الشكل المبتـذل عن الطعام والشراب والرقص والنوم . فقـد تحدّثت صاحبتنا أيضا عن نومها بعـد السهرة وعن استيقاظها فى الصباح لتتفرّج على كذا وكذا .

مسكين زوجها ! ... فاذا كانت هـذه المرأة تتكلم بهـذا الصوت الشاذ الناشز عن أشياء عادية فى مكان حافل بالأجانب عنها، من أجانب ومصريين، فى فندق، فماذا تفعل اذا غضبت فى بيتها ؟

هـذه امرأة ينقص روحها السلام والسر . امرأة ليست عريقـة ولا نبيلة . امرأة ليست ثابتـة ولا رزينة . امرأة مسرفة مبذرة . ليست لأفكارها، ولا لعواطفها، ولا لألفاظها، ولا لصوتها عندها حرمة، فهى تهرق هذا كله فى عرض الطريق، ولا تتحرّج من مضايقة الناس وتزعم لنفسها أن الناس معجبون هائمون بخفتها وفصاحتها .

انما يهيم بهذا الجنس من النساء رجال ثرثارون فارغون ...

رجال يتكلمون فى السمك والبلح والتمرهندى وآثار الكرنك والفوكس تروت فى وقت واحد ! ...

إن الصوت جزء من المرأة . فعليها أن تصونه كما تصون نظرها وجسدها ، بل أنه من أعز ما عندها ، أليس هو دليل فكرها ورسول روحها ؟



الغـــــيرة

يقول شكسبير فى رواية عطيل التى خلقها من جديد أستاذنا وصديقنا خليل مطران «... احذر الغيرة، تلك الخليقة الشوهاء، ذات العيون الخضراء التى تغتذى بمـا تأكله من لحوم البشر» . وهـذا وصف دقيق لتلك الحرباء . وقد رأيتهـا تنهش حياة سعيدة كانت بالأمس حافلة موفورة، حياة أسرة طيبـة هادئة مكوّنة من صديق كريم يعدّ نسـيج وحده فى الخلق العظيم . رجل قديس مع أنه عصرى الى أقصى حدّ هو كذلك مثـال للرجولة والفضـيلة . ولا عجب فهو من سبط شريف ومن معدن نقى . ولكنه تزوّج من سيدة خلفت له ولدين وخلفت له أشـدّ المتاعب . كانت زوجته طيبـة لولا أنها ذات غيرة جنونية. غيرة لا سبب لها ولا داع إلا أوهامها. فهى لا تريده أن يلبس بذلة جديدة، ولا أن يحمل منديلا نظيفا ! فاذا حلق ذقنـه راحت تشاجره وتجادله لمـاذا يحلق ذقنه ؟ ! إنه يحلقها

لامرأة، لأنها هى زوجته لا تريده أن يحلق ! . مع أنه رجل أنيق ومن أول واجبات مهنته أن يكون أنموذج النظافة والأناقة . وقس على هذا . فهى كأنها تريده سجين إرادتها وليست إرادتها عادلة . ولا يمكن تفسير هذه الغيرة على أنها الحب فيلتمس لها العذر إنما هى الطغيان . فليس للزوجة أن تسمم ينابيع حياة زوجها وتسقيه كل يوم كأسا . فالحياة لا تحتمل هذا النكد . والزواج هو قبل كل شيء تعاون على متاعب الأيام ووحشتها فلا يجوز أن ينقلب ضغطا وإرهاقا وظلما . وإذا كان الرجل يريد أن تظهر خادمته فى بزة أنيقة فان ذلك يشرف المرأة أكثر مما يشرف الرجل . وهو دليل على أن البيت يحترم نفسه، ويحترم ضيوفه . فالزوجة التى تنغص على زوجها هذا التنغيص تسيء فهم الواجبات الزوجية وتعتدى اعتداء منكرا على حقوق الزوج وتقتل هناءها وتهدد مستقبل أولادها . فان الرجل يستطيع أن يجد خيرا منها أما هى فيصعب عليها أن تجد مثاله . وليست البيوت لعبا من الورق تمزق بهذه السهولة . فهذه هى الاستهانة بالحياة وهذا هو النزق .

الغـــيرة أيضا

يظهر أن بعض الســيدات مريضات فعلا بمرض عضال اسمه الغيرة . فان أمامى رسائل عدة جاءتنى تعليقا على مانشرناه عن شــقاء صديق تزوّج من سيدة غيور غيرة حمقاء أفسدت عليه وعليها مزاج الحياة . و يظهر من هذه الرسائل أنه لا فرق فى ذلك بين متعلمة وجاهلة وها هو رجل فاضــل « ا . م » يعانى ذلك و يحاول أن يعالجه منذ سبع سنين فلا يجد الى ذلك سبيلا . وزوجته ســيدة متعلمة مثقفة من أسرة نبيــلة وليس فى أخلاقها ما يشين إلا تلك الغــيرة الممقوتة التى تكدر صــفاء العيش كل حين فهى تأبى عليه إلا أن يكون قعيد البيت و إلا أن يكون شأنه معها شأن صــغار التلاميذ يذهبون فى الصباح الى المدرسة و يعودون فى المساء الى المنزل فى موعد لا يعدونه فان أخلفوه جوزوا أصرم الجزاء .

وهو مع ذلك لا يحب السهر ولا يتأخر عن الســاعة

الثامنة ولا يضن عليها بالمسرات من سينما أو مسرح ولكنه في كل مرة يعود مملوء الوطاب بعبارات اللوم والتأنيب لأن نظرة بريئة منه وقعت على فتاة عرضا من غير قصد في طريق أو ملهى . وقد أبت إلا أن يكون خدم البيت ممن قبحن صورة ولو سئن عملا . وليس لها عذر . فهو لا يدع مجالا لريبة في سيره وهو يقسم :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجلي !

أما الآخر « م . ح » فهو لا يقل شقاء عن إخوانه ولقد كان أساه كامنا حتى قرأ حديث صديقنا فكتب الينا ، والشجى يبعث الشجى . وهو شاب في السادسة والعشرين خريج مدرسة عليا موظف بالحكومة لم يدخن قط ولم يرتكب محرما ولم يشرب خمرا ولم يقطع صلاة أو صياما فهو متدين محسود على دينه وسيره وسلوكه وكثير من إخوانه ينكرون عليه طرق معيشته ويتهمونه بالجمود والتأخر ومنهم من لا يصدق كل هذه البراءة والطهارة . تزوج بعد استخدامه مباشرة من فتاة ريفية عاشت في مصر أعواما واعتقد أن الخيرة في التبكير بالزواج ولكن لم

يمض عليه عام إلا وذاق الأمرين فزوجه تغار عليه من كل شيء
ومن لا شيء وهي تنقم عليه حبه أهله وتكرههم كراهية التحريم
رغم حبهم إياها وتقديرهم لها . لا تعرف لنظام البيت معنى
تقلب كل ما فيه رأسا على عقب حتى إذا ما نظمه بنفسه أعادته
إلى ما كان عليه كأنما يعز عليها أن يسود البيت نظام فهي عدوة
لدود له ! جاهلة ... ولم يعلم بجهلها إلا بعد ما قضي الأمر .
حاول أن يعلمها فأبت واستكبرت . إذا زارهم قريب لها أقامت
البيت وأقعدته إكراما له . وإذا حضر واحد من أهله أعرضت
ونأت بجانبها . وقصارى القول أنه الآن كما يقول بين نارين نار
الطلاق وله ما وراءه ونار البقاء على حال لا تطاق ويسألني هل
عندي رأي لشاب بدأت تظلم الحياة في وجهه ولا يزال بعد
في فجر الحياة ! ؟

وحقيقة أن المشكلة عويصة لأن الغيرة غالبا مرض
شنيع ينتاب النفس ويتجسم لها . فيجب أن تعالجه
هي نفسها ويجب أن تتساءل عن سر غيرتها وسر جزعها ...
والغيرة أيضا شعور بعدم الثقة بالنفس أو شعور بعيوب فاضحة

كالقبيح الشنيع أو الأخلاق السيئة أو الجهل الفاحش أو الذوق المنحط . فالمرأة لا يجوز لها أن تحاسب زوجها على نظرته لأن الحساب منها دليل على أن جاذبيتها ضعيفة السلطان عليه وتكرار الحساب يقتل الاحترام المتبادل ويعرض هناءهما للانكسار . بل إنى شخصيا عرفت سيدة أوربية كانت تحاسب زوجها لا على نظرة ألقاها على امرأة مارة فى الطريق بل على النظرة التى تقول له أنه يكتمها فى صدره وبودّه لو يلقيها ولكنه لا يستطيع أمامها أن يلقيها فتقول له : « روِّح عنك ... وانظر ! انظر ! » فاذا نظر فالويل له . واذا لم ينظر فالويل له أيضا !

وقد شهدت مرة شيئا من ذلك فترجمت لها المثل العربى : « إن غيرة المرأة مفتاح طلاقها » فاعتدلت حينا ولا أدرى الآن ماذا فعل شيطان غيرتها .

ومثل هذا العيش يجب أن يعالج بالحسنى من الجانبين وأن يفند الرجل لزوجته، أو الزوجة لقرينها، أسباب الغيرة التى هى غالبا نسيجة الأوهام وضرب من خيال سقيم وأضغاث أحلام .

الشيطان

كثيرا ما ينحي الرجل باللائمة على زوجته ، وتحمل الزوجة قرينها كل عيوب الدنيا . ويسود فى البيت نزاع يجعل الحياة جحيما . وبعض المقربين عندئذ يجعل الحق على الزوج والبعض الآخر على الزوجة . وكثيرا ما يفوت الجميع أنه قد لا يكون الذنب ذنب أحدهما أو كليهما ولكنه ذنب المصير نفسه .

هذا المصير هو أقوى منا بغير شك . لأنه هو الذى يجمع أو يفرق بيننا . فكأنه أحيانا سلطة هائلة طاغية لا ترحم ولا ترق ولا تعرف للحنان أو للحب حرمة ونجيء نحن نزيد فى هذه السلطة وفى طغيانها وفى تعذيبها لنا بزيادة ما بيننا من اختلافات قد تكون أحيانا تافهة جدا . قد تكون من أجل ثوب تتمناه الزوجة ولا يستطيع الرجل شراءه حالا أو من أجل الذهاب الى سينما أو من أجل ما هو أصغر وأحقر من ذلك . ومع ذلك تتجسم لكل جانب عيوب الجانب الآخر وإخطائه ويتصور

أنه يُمْعِن فى تعذيبه أو حرمانه أو ظلمه فتزداد الأمور توترا و يدب دبيب الكراهية فى نفوس كانت بالأمس وادعة رضية .

فعند ما ينشب فى البيت خلاف بين الرجل وزوجه يجب أن يتصوّر كلُ واحد منهما أن هنـاك شيطانا خفيا واقفا لهما بالمرصاد يحرض كلا منهما على صاحبه حتى يضحك بعدئذ منهما ضحكا مخيفا كأنه قرقعة عظام الموتى .

ومن واجبهما أن يحاولا عندئذ طرد الشيطان . وهـذا الذى نقوله ونشير به هو ما شعر به أولاد البلد عندنا حتى نسمع الواحد منهم فى شدّة غضبه يطلب من الله أن يخزى الشيطان . ولا يجوز للرجل المتعلم والمرأة المتعلمة أن يكونا دون ذلك خيالا وحبا فى مجاهدة الحياة وجعل المصير أوفر حنانا وأكثر إقبالا .

فاليوم اذا كان قد اعتزم الزوجان الشـجار من أجل أمر صغير أو خطير فانهما حفظا لكرامتهما يتجنبان هذا الشجار أمام أى أحد غريب عنهما ولو كان من أهلهما . فلمـاذا إذن لا يذكران دائما أن هناك شيطانا خفيا اسمه إبليس ينتهز الفرص أو يخلق الفرص لينفذ من خرم الإبرة الى بذر بذور الشقاق بين

الحبيبين والصديقين والزوجين ؟ ولماذا لا يخجلان من أن يتركا من يستغل كل شيء ليفرق بينهما أو على الأقل لينغص عيشهما ؟

ينبغي للزوجين إذن أن يقفا جنبا الى جنب كتلة واحدة ضد الشر الظاهر والشر الخفي على السواء . وأن يتسلحا معا بالمحبة والرغبة فى التفاهم الدائم المقيم ضد الشيطان .

وقد يكون الشيطان أحيانا هو الإنسان ! ...

الطـــــلاق

إن الاحصـاء الذى صـدر عن الطلاق فى مصر خلال العام الواقع بين أول يوليـه ١٩٣٠ وآخر يونيـه ١٩٣١ ينشر لنا صفحة سوداء لحياة الأسرة عندنا تبعث على القلق والحزن . ففى تلك المدة عقد ٢٨٧٧٥ زواجا بين المصريين ، ووقع ١٥,١١٧ طلاقا ! ... أى أن نسبة الطلاق إلى الزواج هى ٥٢,٥ فى المـائة ! . وبمعنى آخر أنه كلما تزوج رجلان طلق رجل . وبمعنى آخر أن المأذون الشرعى يعقد فى اليوم ٧٩ زواجا ويقضى بـ ٤٢ طلاقا ! ! فانظروا كيف تكاد أن تغلب المآتم الأفراح !

وهى نسبة يقشعر منها البدن . فليس من المألوف قط أن تبنى بيوت وتهدم بهـذه السرعة الشنيعة التى تدل على الطيش والنزق واتخاذ الزواج متعة ولهوا .

وليست عقود الزواج التى ذكرناها بالتى تستحق أن تعتبر عقودا بمعنى الكلمة ، وروح الزواج بنفسه لا بلفظه ، لأن من

تلك العقود ٦٠٨٤ عاشت بضعة أشهر فقط ولم تبلغ العام . ومنها أيضا ٥٦٩٥ لم يتجاوز الأربع السنوات ، فهى نسبة يرثى لها فعلا .

وعندى أن الطبقة المستنيرة الآن تتردّد فى الزواج كثيرا ولذلك يقل فيها الطلاق ، وأنا أنظر من حولى فلا أجد بحمد الله بين معارفى من طلق أو فكر فى الطلاق ويعيش كثيرون مع بعضهم بعضا فى غير اتفاق تام ولكنهم قد راضوا أنفسهم على قبول ذلك العيش كيفما كان ، إذ أدركوا أن الحياة هى مرحلة تجربة شرها أكبر من خيرها ، ومرها أكثر من حلوها ، فسواء كانوا متزوجين أو عزابا فالسعادة الحقة بعيدة المنال ، ولا بد للعيش من فلسفة نتقبل بها الضجر والسآمة والأيام التافهة والليالى المتشابهة وإلا أصبح العيش جحيما .

فهذه الكثرة التى نراها فى الطلاق هى بلا نزاع بين الطبقات الدنيا الجاهلة . وحبذا لو أن مصلحة الإحصاء قد وجّهت عنايتها الى درس ذلك أيضا وتابعت البحث فى هذا الصدد

حتى تلقى ضوءا على أرقامها ، فإن أخلاق البلد ماثلة فى تلك الأرقام .

فالعامة والجهال يستسهلون الزواج لأنه لا يكاد يكلفهم شيئا . أجل ، إنه يكلفهم بعض النقود ولكن النقود تتدبر . أما الزواج فهو يكلف المتعلمين جهادا نفسانيا قاسيا ، لأنه خروج من منطقة معروف عنها أنها حرة الى منطقة معروف عنها أنها مقيدة ، وهو خروج عن عادات ألفها العازب دهرا والتخلى الى حد بعيد عن أصحاب وخلان كانوا رفقاء الصبا والسراء والضراء . وهو خروج من المعلوم الى المجهول ، لأن الزواج هنا لا يكفل للرجل ولا للمرأة حق التعارف بمعناه النبيل والوقوف على سرائر النفس واتجاهات الفكر والنزعات والنزوات التى قد تبدو بسيطة ، ولكنها هى التى تكون الخلق وتقوم عليها سعادة البيت أو شقاؤه . فعندما يتنسم المتعلم ريحا للوفاق فإنه يمضى ولا يتردّد غالبا ، ويوفقه الله عندئذ اذا شاء توفيقا أيا كان مداه فهو أطول مدى من زواج لا تبصر فيه بل هو خبط عشواء .

فالجاهل والفقير كلاهما لا يعرف مسئولية الأسرة والأولاد ،
لذلك لا عجب اذا كنا نلقى ألوف الناس لا يملكون قوت ليلة
وعند كل منهم خمسة أو ستة أولاد ، وهم يلقون من الفقر
والمذلة ألوانا ومع ذلك لا ينقطعون عن النسل كأنهم يزعمون
أن النسل يجدد الحظ ويتيح الفرصة للغنى . وهو فى حالات
كثيرة يعد إجراما لأنه يقضى بتضييق رزق هؤلاء الإخوة ،
فلا يعرف أهلهم كيف يجدون لهم الغذاء والكساء والدواء ،
فكيف بالعلم والمعرفة .

ونحن اذا تصورنا أن ما وقع فى عام واحد من ١٥١١٧
طلاقا قد شرّد وراءه ألوف الأولاد ، لا يعرفون لهم بيت أب
ولا يسكنون الى بيت أم ، أدركنا جسامة الحالة وشناعتها وأن
الناس يبحثون عن لذاتهم البهيمية ويجدونها بسهولة لا تكاد
تكلفهم شيئا ، ويجدونها كل يوم بكتابة ورقة وتمزيق أخرى ،
والثمن تدفعه الذريات الحاضرة والقادمة بالفقر والمرض
والجهل والتشرد .

احذروا الخــدم

فى حوادث القاهرة أمس ، التى أبى تحرير «الأهرام» أن ينشرها رحمة منه وإشفاقا واستنكافا ، واقعة أليمة حقا ، خلاصتها أن خادما فتك بأولاد أسياده ، فتك بطفلة عمرها ثلاث سنوات ، وبولدين أكبر منها قليلا . ولا يسع الإنسان إلا أن يتساءل : هل هناك حدود يمكن أن تقف عندها وحشية ابن آدم ؟ !

ومع ذلك فاننا لو استعرضــنا الحوادث التى تقع من هذا القبيل ، وذهبنا فى تقصــيها ودرسها ، وإرجاعها الى أصولهــا ومسبباتها ، لوجدنا أن وزرا كبيرا من ذلك فى عنق الآباء .

فهؤلاء الآباء والأمهات يجهلون طبيعة الزمن الذى نعيش فيه . وفى الوقت الذى نجدهم يقفون كالأسود الكاسرة أمام كل شاب ينوى أن يتزوّج من ابنتهم مهما كان متعلما مهذبا ، فيحولون دون الرؤية والمجالسة إلا بألف شرط وشرط ، وفى مقدّمة هذه الشروط إحضار «الشبكه» ، فى الوقت نفسه

نجدهم مستضعفين جاهلين الذنب الذى يرتكبونه بادخال رجل طويل عريض فى بيوتهم ، يستبيح أسرارهم ، ويراهم فى ثيابهم أحيانا وفى مباذلهم أحيانا ، ويسلمون اليه أولادهم مع أنه قد لا يكون مضّى فى خدمتهم سنة ولا شهرا .

إن أباءنا كانوا يطمئنون الى خدم أشرف من خدم اليوم بكثير . فقد فسد كل شىء ، وانحطت الأخلاق . فلماذا نستثنى منها أخلاق الخدم ونظل على ثقتنا بهم ؟ ! إن الخادم فيما غبر كان يكاد يكون فردا من الأسرة ، يربّى فيها منذ نعومة أظفاره ، ثم يزوّج ويبقى بعد ذلك بوابا أو حارسا فلا يطردُ ولا ينهرَ . وكان الخدم أهلا لتلك الثقة . أما اليوم ، فلا يوجد خادم يبقى فى بيت من البيوت سنين عدة . وتلك الحرمة والقداسة التى كانت للبيوت قد استهتر بها بعض أولئك الأنذال أشدّ استهتار ، وأحسوا كأن لهم حقوقا روحية أو جسدية ؟

انظر أحيانا تجد فتاة قد نضجت ، مع أنها فى عامها الثانى عشر ، وذلك لطبيعة الجنس المصرى ، يمشى معها شاب فى العشرين أو الثلاثين يحمل لها كتبها ويحادثها طول الطريق . كنت

أحيانا أتمنى لو دفعت أى ثمن لأسمع هذا الحديث . ومع ذلك فليس من الصعب التنبؤ به . فهذا الخادم الجاهل ماذا عسى أن يقول لسيدته الفتاة؟! أيعرف شيئا فى الأدب أو فى العلم أو فى الخلق أو فى الدين وما الى ذلك حتى يحدثها فيه؟! كلا! إذًا فهو يعرف شيئا آخر لا يعرف غيره يلقيه على سمعها مستأنسا بضعفها ووحدتها ، وقد يغريه البعض بالمال فيمهد لهذا البعض السبيل الى صداقة آثمة ... ويحمل الرسائل .

فنحن أحوج ما نكون الى تسليح البنت بالخلق القوى، لأنه هو الذى يحميها لا الخادم الجاهل . ونحن بحاجة الى أن نضع حدّا فاصلا بين تلك (المودة) الطائشة وبين تلك الفوضى المخجلة التى نخلقها باهمالنا وعدم رقابتنا أولادنا .

ومن كان فى شك من ذلك فليته رأى ما رآه أحد زملائنا من منظر أولئك الأطفال وهم فى حالة غيبوبة فقدوا معها كل شىء، أعنى الشرف .

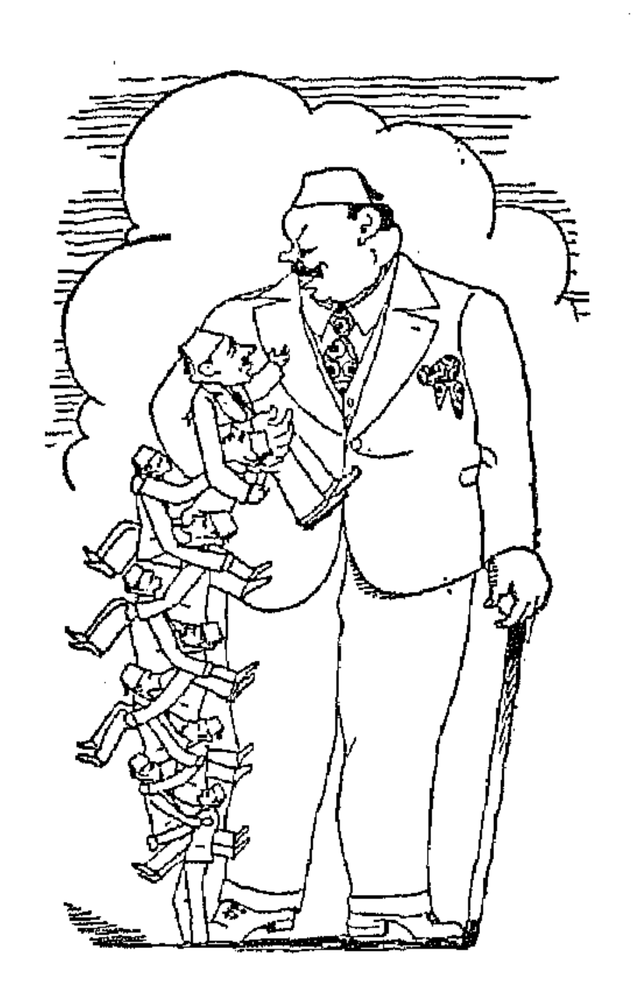
محسوب للايجار !

إعلان هام جدًا وجدًا هام

شاب متعلم طويل القامة من عائلة شريفة له مدّة خدمة طويلة بمرتب بسيط يريد أن يكون « محسوبا » من محاسيب أى عين من العيون البارزة ذات النفوذ مع التكرم بايضاح شروط المحسوبية ليزنها ويستعدّ لأداء الامتحان فيها فمن كان له رغبة فى ذلك « المحسوب » القدير فليتكرم بمخابرة إدارة جريدة الأهرام .

محسوب تحت الطلب

« ع »



إن هذا الشاب الظريف يمزح ولا يقول إلا حقا ، والمزاح ظرف لطيف للحقائق ، فقد ألق فى روع الموظفين وطالبي التوظيف جميعا أنه يستحيل عليهم الخروج من درجة الى درجة أو دخول الحكومة إلا بالمحسوبية . ولم ننس بعد تلك الصيحة الهائلة التى ألقاها أحد الشهود فى قضية طلما إذ قال : إنه وصل الى الخدمة عن طريق إحدى المغنيات . وعندما تصل الأمور الى هذا الحدّ تكون نذيرا بانحلال الأخلاق انحلالا لا قيامة بعده للفضائل .

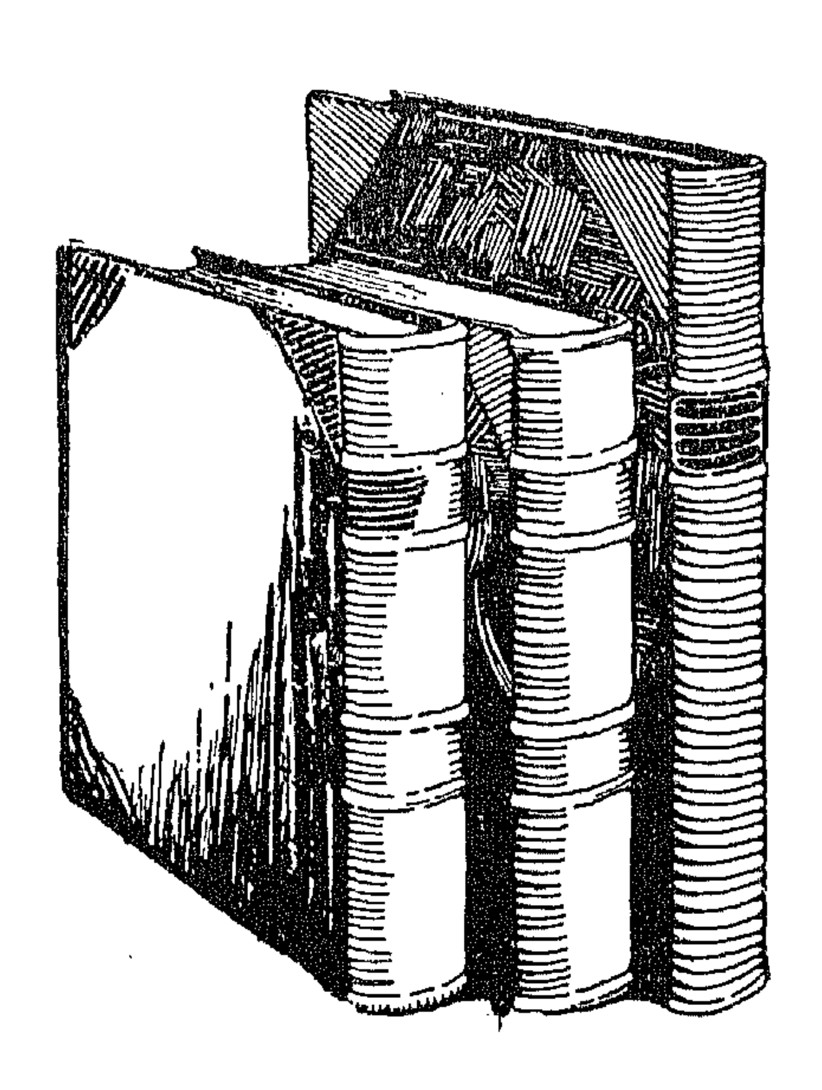
وهذا الشاب الفاضل يرى إخوانا له يقدّمون من فوق رأسه وهو حيث هو يفنى فى درجة دنيئة محروما كل علاوة قانونية ، بحكم قرار مجلس الوزراء ، وكل علاوة استثنائية بحكم حرمانه الواسطة .

والمجالس التشريعية فى كل الأمم هى التى تتولى محاربة أمثال هذه الاندفاعات الخطرة على روح الموظفين المعنوية . فعلى نوابنا وشيوخنا الكرام أن يضعوا « الفرامل » التى تغل

أيدى المسرفين فى الإيثار والحرمان ، لأن كل إيثار لموظف يتبعه حرمان لزملائه طبعا .

ووظيفة النائب عن الأمة هى وظيفة الحراسة ، الحراسة على الأموال والأخلاق ، ومقاومة المحسوبية ، ذلك الداء الوبيل الذى يجرفنا والذى هو مضيع الأموال ومفسد الأخلاق ...

فهل من مدّكر ؟ !



طلاب المحسوبية !

رد على اعلان هام جدا وجدا هام

« أيها الزميل طالب المحسوبية .

أحييك ، وأعطف عليك . حقا إنك كنت ظريفا فى اعلانك ، ظريفا فى كتابتك ، محقا فى طلبك .

ولما كنت من روّاد هذا الطريق وعشاق هذا المبدأ العظيم فقد سبرت غور امتحاناته العديدة ، ولسوء حظى لازمنى النحس فكان نصيبى منها الفشل ، غير أنى خرجت منها ببعض الخبرة . ولما كانت شروط المحسوبية كثيرة ومتنوعة رأيت أن أوجه لك الأسئلة الآتية ، فاذا آنست فى نفسك كفاية لأدائها فثق بأنك ناجح لا محالة .

(١) هل لك قدرة على كتابة مقالات المدح والاطراء لمناسبة أو غير مناسبة ، ونشرها بالصحف السيارة على اختلاف نزعاتها السياسية ؟

(٢) هل تحسن المقابلات فى الحفلات والسهرات مع إنكار شخصيتك عند الاقتضاء ؟

(٣) هل تسمح لنفسك أن تشرب كأسا نخب من لا تريده اذا قضى بذلك الظرف ؟

(٤) هل تحسن الرقص الأورنى الحديث منه والقديم والتوقيعى ؟ وهل لك سمعة طيبة بين العائلات الراغبات فيه ؟ وهل لك عليها نفوذ ؟

(٥) هل أنت أعزب أو متزوج ؟ فان كنت الأول فهل أنت خبير بطريق الرياضة والنزهات ؟ وان كنت الثانى فما هى مؤهلات زوجاتك فى عالم المدنية الحديثة ؟

(٦) هل فى استطاعتك وضع كامل وقتك تحت تصرف من يظللك بمحسوبيته ؟

(٧) هل لك أوتومبيل ؟ ما نوعه وما مقدار فخامته ؟ وهل يليق بشرف العظماء ؟

(٨) هل تعرف لعب الورق وكياسة اللعب وأدبه ؟

(٩) هل أنت من غواة فن الطرب ؟

(١٠) هل أنت (سبور) تحمل بيديك وعلى صدرك لفات الحلوى والمشروبات ولا تتأفف ؟

هذه أهم واجبات المحسوب المنسوب ومؤهلاته أدليت لك بها ، وانى لحزين مكتئب لسقوطى فى الامتحانات العدة التى حاولت أن أفوز بها حتى أصبحت أصف نفسى فيها غاوى سقوط » . طالب محسوبية قديم

* * *

حقيقة إن « طالب المحسوبية القديم » هذا قد درس موضوعه بشكل يحمل على الاعجاب . والشروط التى أتى بها

تدل على باع طويل فى المحسوبية ومما يؤسف له أنه على هذا الذكاء وخفة الروح لم يعرف بعد كيف يكون محسوبا ، فانى أتمنى له الخير ولو عن طريق الشر ، لأن الدنيا أصبحت كلها شرا .

ولكن (الأنكت) من هذين ذلك الخطاب الذى أرسل الى تحرير الأهرام من (ا.ب.ت. بشباك بوستة سنورس) يقول فيــه :

«اطلعت بالأهرام على اعلان الشاب الذى من عائلة شريفــة ويريد المحسوبية لعين من أصحاب النفوذ ، وعليه فأرجو أن يفيدنى هذا الشاب بأقرب فرصة عن اسمه ولقبــه وعائلته وأصل موطنهم ومحل اقامته الآن بعنوانى الموضح أدناه ... » .

ونحن لم نعهد أصحاب النفوذ والأعيان يكتبون خطاباتهم بقلم الرصاص ويجعلون عنواناتهم على (شبابيك البوستة) .

ربمــا كانت هذه الرسائل مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن تتكشف عن نقابة للمحسوبين تتخــذ لها ادارة ومستشارين ومحاسيب للمحسوبين ! ... .

المـــال نعمة ونقمة

أبلغ أحد سـكان بولاق (بوليس) القسم أن ابنه خطف بينما كانت شـقيقته عائدة به الى المنزل . فحقق هـذا البلاغ مأمور القسم ولما سأل شـقيقة الطفل عن أوصاف الذى خطف شـقيقها قالت إن رجلا كان يسـير مع والدها أخـذ شقيقها منها فلم تمانع لأنها رأت والدها معه وكان فى انتظاره . فاشتبه المأمور ودعا والدة الطفل فقالت أن زوجها عاطل عن العمل من مدّة وليس معـه نقود وفى اليوم التالى ليوم غياب الطفل رأت معـه ثلاثة جنيهات، وعلمت من امرأة أخرى أنه باع الطفل بأربعة جنيهات لرجل لم يرزق ذرية . فقبض على الأب والتحقيق مستمر للاستدلال على المشترى والطفل.

حقا إن هذا آخر الزمان . والظاهر أن القيامة قربت أن تقوم . اللهم لاتأخذنا على غرة وأفسح لنا بضع سنين نكفر فيها عما تقدّم من ذنبنا وما تأخر ! ...

أهكذا يهون الولد على أبيــه ؟ ! أهكذا يضيق العيش وتسود الدنيا فى وجه الوالد حتى ينزع روحه من روحه ويبيع فلذة كبده بثمن بخس دراهم معدودة ؟ !

أف لك يا دنيا ! كم سهر هــذا الرجل المنكود، وكم كد، وكم شــقى، وقد يكون حمل الحجارة وصعد بها فوق (السقالة) أدوارا وأدوارا ليعود فى المساء حاملا لزوجه وولده طعاما !

أطلقوا سراح هذا الوالد المنكوب واقبضوا على الشارى ! اسألوه كيف طاوعته نفسه أن يختلس ولدا من أمه وأبيه بأربعة جنيهات ملعونة ؟ ! اسألوه هل شعر أنه يحمل لعبة من خشب وحديد أم يحمل مخلوقا حيا؟ ! هل فكر كيف ستقضى أم الطفل ليلها بعيدة عن حبيبها الصغير؟ ! وكيف سيقضى الحبيب الصغير ليله بعيدا عن حضن أمه ؟ !

لأى شىء يارباه سيستخدم المــال بعد ذلك ؟ ! بأى مذلة سيقضى وبأى عذاب سيحكم القرش على النــاس ؟ ! ها هو القرش يسلب الرجل الأبوة ويختلس من المرأة الأمومة ! ! ...

ها هو القرش يقضى بالفراق بين طفل وأهله كأنه الحاكم بأمره المستبد الطاغى ... كأنه نيرون هذا الزمان .

اللهم اذا أعطيتنا مالا فارحمنا ولا تجعلنا نسىء الى هذا الحد استعماله ... واذا قضيت علينا بالحرمان فارحمنا ولا تحكم علينا ببيع أولادنا من أجل لقمة ! ...



لو كان لى ولد !

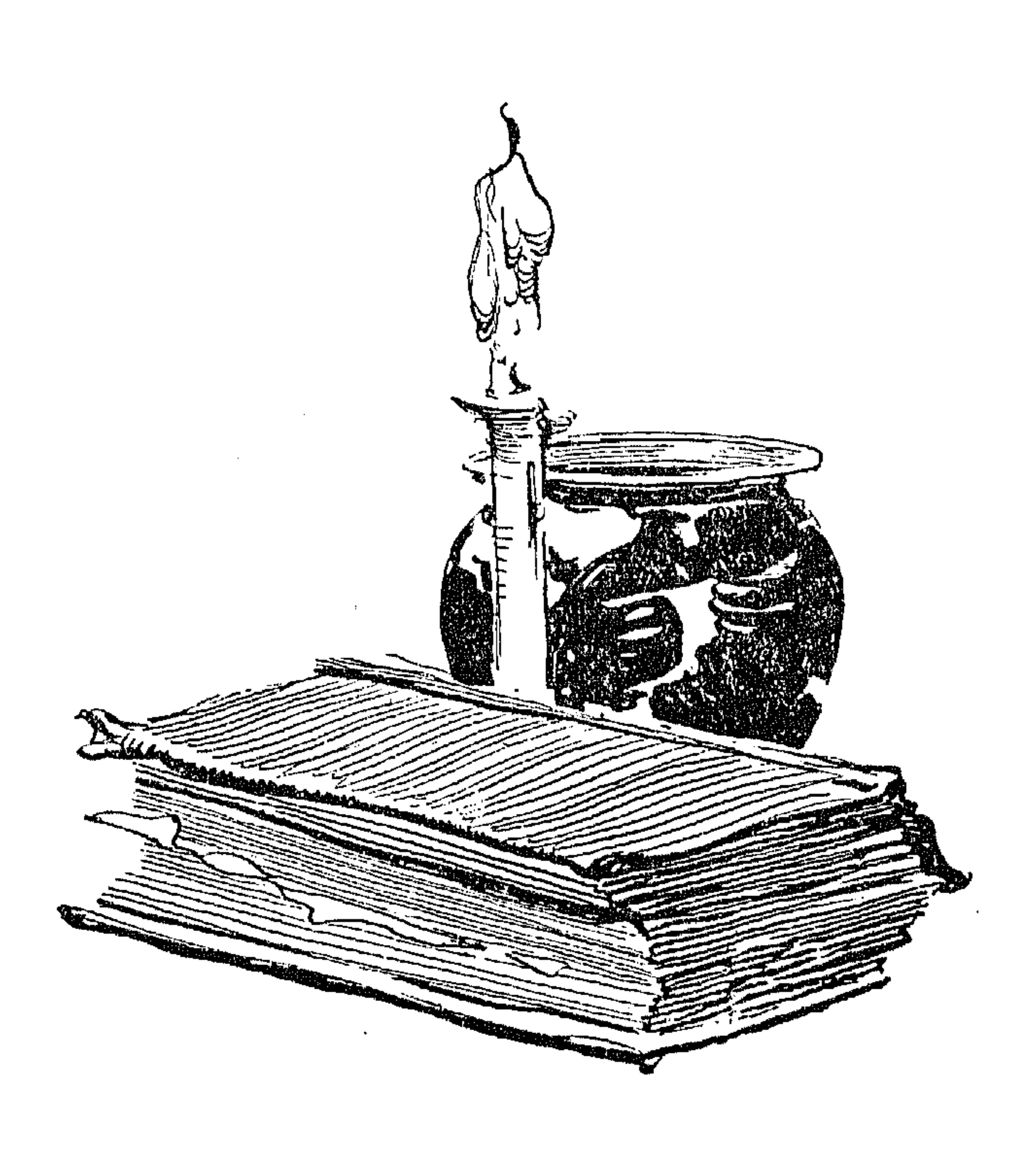
صرح رئيس وزارة سابق لأحد أصدقائى أنه لما كان فى الحكم كان لا يستطيع أن يحصى عدد مهنئيه بالعيد، فلما اعتزل السلطان جاء العيد فلم تصله إلا أربع بطاقات ! ! ...

ويكفى أن يحضر الإنسان مأتما يمت بقرابة ، ولو بعيدة ، الى رجل فى الحكم فلا يجد فى السرادق موضعا لقدم ! ... ويجد الناس يبكرون بالحضور ويتأخرون فى الانصراف ، ويحلو عندهم صوت الفقيه وتأخذهم نشوة الموعظة الحسنة .

سبحان الله ! ما أصعب النفاق وهو مع ذلك عند أكثر الناس صناعة لذيذة يرمون الى خدمة أنفسهم حتى من وراء نعش الميت ! ...

هؤلاء المنافقون هم الأغلبية ، ولذلك ترى أقلية الصادقين المخلصين فى آخر الصفوف . فإن الحرة تجوع ولا تأكل بثديها .

لو كان لى ولد لعلمته الصـدق والشجاعة الأدبية وتركت رزقه على خالقـه ؛ ويستطيع بعد ذلك أن يلعننى فى قبرى، ولكنه لن يستطيع إلا احترام ذكراى .

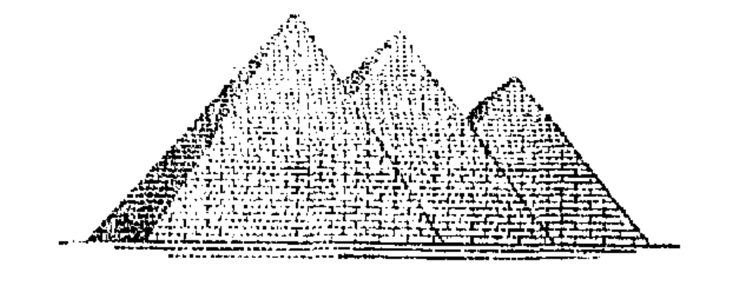


مهندس الكبارى

من القصص الانكليزية الطريفة ما يروى عن مهندس للكبارى فى ريعان شبابه تخرج من المدرسة بتفوق فانتخبته حكومة أجنبية لبناء كوبرى وكانت له خطيبة جميلة فوعدها بالعودة اليها بعد عامين وظلا فعلا على العهد يتراسلان على البعد ولكن بعد العامين إذ وفق فى عمله وظهر نجاحه دعته حكومة أخرى لبناء كوبرى أيضا فاعتذر لخطيبته كذلك ومنّاها بقرب اللقاء وهنأها بما أتاح الله لهما من ظهور نبوغه وضمان مستقبله وتعللت هى بذلك . ولكن بعد تمام ذلك الكوبرى دعى أيضا لبناء كوبرى ثالث ورابع وخامس ... والنتيجة أنه اشتهر وأثرى ولكنه شغل تماما بالكبارى عن المحبة وبناء الأسمنت المسلح والحديد عن بناء وكر الطمأنينة وعش الأولاد فعاد الى وطنه آخر الأمر وقد انحنى ظهره وشاب شعره ولم يعد صالحا للزواج ولا للحب ولا حتى لبناء الكبارى ...

وهذا درس بليغ له ما وراءه من عظة فبعض الناس تشغلهم مرافق الحياة حتى أنهم ينسون حقوق الحياة . وتختل موازينهم فترجح عندهم كفة العقل على القلب رجحانا لا عدل فيه للعقل أو القلب جميعا .

فالاتزان هو أساس الوجود . ومبدأ العيش يجب أن يكون عدم الإسراف والتهافت على جانب دون جانب . ففى الحياة أشياء أخرى مهمة غير بناء الكبارى وهى بناء البيوت : بالحنان والحب لا بالطوب والخشب ! ...



دخـــول الدنيـا

فى بعض الظروف والأحيان يشـعر الانسان بأن لا بدّ له من استئناف الحياة . يحس أن الحيـاة تكاسلت وفترت فهى بحاجة الى قوّة جديدة للكافحة وغزو مناطق جديدة للسـاوى والعزاء انـ لم تكن للفرح والهناء . وجميع الذين لم يتزوّجوا يشعرون ان هـذا الاستئناف لا بدّ منـه مع شريكة للحياة . لذلك نحن نفرح عنـد ما نجد صـديقا يتزوّج . نفرح لفرحه لأن الفـرح هو الأمل والرجاء رمز التعلق بالحياة وتجيـدها . فالذى كان بالأمس يجاس معنا فى مجالس العزاب قـد انتقل الى منطقة أعلى وأسمى والى دائرة ذات قداسة خاصـة ، لأنها دائرة البيت فى ظل المرأة، فى ظل الزوجة اليوم والأم غدا .

فهذا الصديق يدخل وكله أمل فى هنائه وكله رجاء فى أن يسـعد شريكة حياته . فعلى الزوجة عندئذ أن تقـدر حياة العزوبة التى كان الرجل فيها بين عشرين صديقا كلهم لطيف

العشرة ظريف المؤانسة ... وتعرف أن واجبها خطير وأن مسؤوليتها مرهقة . فيجب عليها أن تقاوم ماضيه كله وتواجه حياة عزوبته بما كان فيها من مفاجآت ومن مودات ومن ملذات بريئة أو غير بريئة وتعرف قداسة واجبها فى إنقاذه من كل ذكرياته ومنحه ما يعوض عليه هذا كله سواء كان خيرا أو شرا ولتعرف أن عليها أن تسعده بحب عظيم يملأ جوانحها وتضيع فيه الاختلافات التافهة التى تعرض لكل زوجين . وعليها دائما أن تتجنب كل مناقشة . فان المناقشات سخيفة وتؤدّى غالبا بين كل الناس الى الحدة . والحدة يجب ألا يكون لها أى أثر بين شريكى الحياة .

فلتدرس كل زوجة ميول زوجها وأهواءه وتجتهد فى أن ترضى منها كل ما يطيب لها وأن تصلح منها مالا تطمئن اليه . فان زوجها هو أخوها وهو ولدها وهو أبوها فى وقت واحد . أنه أصبح من لحمها ودمها أقرب اليها من أولئك جميعا فكيف تترك قيد أصبع للخلاف فى توافه مادية لم تطلع ولم تنزل ؟

لقد صدق العامة فى قولهم أن الزواج هو دخول الدنيا

وهو دخولها عندنا تحت الأعلام وعلى نغمات الموسيقى والزغاريد والآيات وبين الزهور والحلوى .

فلنحافظ على هـذه الروعة لذكرى دخولنا الدنيا ، ولنجدّد حياتنا الزوجية كل يوم بالحب المتصل المخلص الأمين وبالتعاون المتبادل على الخير والشر فى السراء والضراء ... فان كل شيء يجب أن يزيد فى حب الزوجين الشابين ، وكل مطلع شمس يجب أن يشرق عليهما كأنهما يدخلان الدنيا لأول مرة ! ...

التأمين على الحياة

أنشأ بنك مصر شركة جديدة للتأمين على الحياة ومتى أنشأ هـذا البنك الوطنى العظيم شركة فان معنى ذلك بيوت مصرية جديدة تفتح وترزق ، ومعناه شبان مصريون يتعلمون ويتقدمون فى ميادين العمـل والنشاط ويتقنون ما كان حتى الآن وقفا على الأجانب . فهذا دين جديد فى عنقنا لهؤلاء الرجال النبلاء الذين يديرون هـذا البنك بحكمة غالية ، وفى تواضع ، وفى صمت ، وفى مقدمتهم زعيما الاقتصاد الوطنى وقائدا النهوض المالى طلعت حرب باشا والدكتور فؤاد بك سلطان .

والتأمين على الحياة هو من أهم ضروب الاقتصاد التى توصل اليها الفكر فى العصور الحديثة . والأوربيون قد عرفوا فضل التأمين فطبقوه على حياتهم كلها حتى شمل العمر والبيت والسيارة ، بل حتى شمل أيضا التأمين ضـد العطل والبطالة . ونحن نسمع عن راقصة أمنت على ساقيها مثلا بمائة ألف جنيه .

وهى محققة . لأن هاتين الساقين هما رأس مالهـا ومن دونهما لا تساوى شيئا . فاذا حدث وسقطت وأصابها رض أو كسر فانها تكون مطمئنة الخاطر بقية حياتها ولا تعانى شظف العيش. وما يقال عن الراقصة يقال عن كل محترف أيا كانت صناعته . فالتأمين يقتضى إيداع مبلغ معين فى كل سنة لمدّة معينة لمصلحة شخص معين ، فاذا حدثت وفاة نال ذلك الشخص كل المبـلغ ولو كان مئات الألوف من الجنيهات ولو كان مادفع من أقساط لا يتجاوز قسطا واحدا . ومن هنا تأتى ميزة التأمين عن المعاش . فالتأمين أفضـل وأحسن . وكل رجل له أولاد فى عنقه هذه المسـؤولية ، وكل شاب بعيـد النظر لا يتردّد فى التأمين على حيـاته .

ولقد حدّثنى أستاذنا المغفور له داود بركات أن أول يوم سمع فيه المصريون باسم التأمين بصفة رائعـة هو عند ما مات الزعيم الاجتماعى المرحوم قاسم أمين . فقد كان المستشار مؤلف « تحرير المرأة » يخطب فى نادى المدارس العليا فى وفد الطلبة والطالبات الرومانيين الذين يزورون مصر ثم عاد الى بيته وقضى

نحبه بغتــة . فروّع عليه أصــدقاؤه وأحبابه لمـا يعرفونه من قوته وشبابه وكرمه . ولكنهم لم يلبثوا أن علموا بأنه كان منذ ستة أشهر فقط قد أمّن على حياته للسيدة زوجه وأولاده بستة آلاف جنيــه دفعت لهم حالا . فتداول الناس هــذه الحكاية متسائلين ما هو هذا التأمين العجيب الذى تمطر سماؤه الذهب والفضـــة ؟

والآن بعــد ربع قرن تجىء شركة مصرية صميمة لتســد النقص الشاغر فى صــناعة التأمين على الحياة ببلادها . لذلك نغتبط ونقرّ عينا بهذا الظفر وهذا التقدّم . ونشعر بالاطمئنان الى المستقبل . وندرك أن مصر تخطو كل يوم الى الأمام وتربح مناطق جديدة فى ميدان الجهاد الاقتصادى وتربح ذلك لا بالتهويش ولكن بالعمل الوطيــد والجهد الحميــد والضمان الأكيد . وهذا هو المقصود بالخدمة العامة ، وهذا هو معنى حب الأوطان .

ياليت !

تحدّثني نفسي بأني سأكسب الـ ٢٤٠٠٠ جنيه من جمعية المؤاساة ، على شرط الا تؤجل السحب هذه المرة ، وإلا تكون قد تحدت حظي وعرضت نفسها لطلب التعويض ! .

أعتقد أنني سأحسن التصرف في هذا المبلغ الكبير وأنه من مصلحة الجمعيـة نفسها أن أكسبه فإني أتبرع لها من الآن على رؤوس الاشهاد بمبلغ أربعة آلاف جنيه هبة لوجه الله وحبـا بالفقراء ، وآخذ العشرين ألفا كل جنيه فوق أخيه ، ولأول مرة يصبح رصيدي دائنا لبنك مصر بدلا مما هو مدين باستمرار ! .

ثم بعد ذلك أتبرع لأحباب وأصدقاء و زملاء بألف جنيه ، فإن بعضهم عليه ديون و بعضهم يريد أن يتزوّج و بعضهم يريد أن يتفرج على باريس ! ويبقى من المبلغ تسعة عشر ألف جنيه أبني بثلاثة آلاف منها (ڤيلا روستيك) صغيرة من طراز «باسك» على شاطئ النيـل في مكان أحبه ، الأثير من حوله يوقع ألحانا

شجية، وصفحة المـاء منبسطة أمامه كأنها الرجاء فى الحب ! .
وأفرشها بألف جنيه ، وأجعل قاعة الطعام فيه ريفية كما لو كانت فى قرية أوربية ، وأجعل ردهة الاستقبال حافلة بجميع آلات الموسـيقى من (البيانو والعود والكمنجة الى الدربوكة والرباب والناى) لأقيم فيها حفلات لعشاق شـوبان ، وأخرى لعشاق (الدلوكة) السودانية وأطلق على الردهة اسم «الفارابى» . أما المكتبة فانى سأقصرها على كتب الحب فى جميع اللغات الحية فأجمع كل كتاب يقدس الحب ويحمل اسم الحب على جبينه كالتاج ! .
وأطلق على المكتبة اسم «شهرزاد» .

يبقى بعد ذلك ١٥ ألف جنيه . اشترى منها شقة وجيهة فى غاب بولونيا بثلاثة آلاف جنيه أجدد فيهـا قواى الروحية وأشحذ ذهنى وأصقل تفكيرى بصباحيات الغاب وعصرياته .
واطلق عليهـا الاسم الذى كان يطلقه « أناتول فرانس » على داره : « مَغنى سعيد » ! .

وأعيش من إيراد الباقى على ما أربحه من قلمى ، وأخرج كتابين فى السنة وأقضى ثمانية أشهر فى القاهرة وأربعة فى باريس

وأعيش على ذلك عشر سنين لا أتمنى على دهرى أكثر منها وأتبرع له بالباقى على شريطة أن يؤاتينى بما أريد ! . أكتب له الان وأختم على ذلك ! .

هل الذى سيربح هذه (النمرة) سيسعد أناسا أكثر منى فى الحياة ؟ !

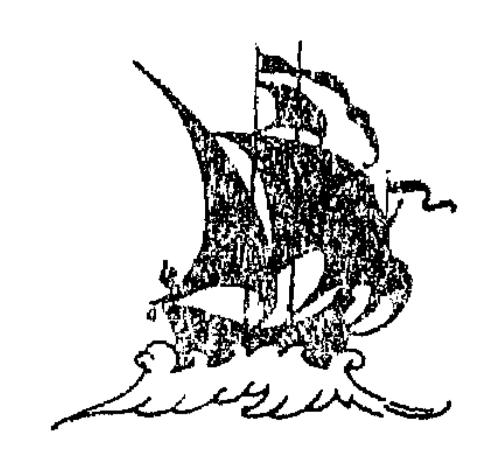
ترى هل يؤدى للبلد خدمة أكثر من التبرع بخمسة آلاف جنيه وإخراج عشرين كتابا فوق «ما قل ودل» ؟ ! ترى هل يكون الحظ دائما أعمى فيعطيها الى حيوان يوصف بأنه «ثور الله فى برسيمه» يراكمها فوق بعضها ويعيش أحط من خادم وأحقر من صعلوك !

نسيت وما أنسانى إلا الشيطان فان برنامج الستة الأشهر الأولى يقضى فى رحلة حول العالم أصفها لقراء «الاهرام» يوما فيوما ليحكموا هل طغيت إذ استغنيت ؟ ! وهل أفسدت المادة من جوهر الفكر أو زادت الشعور، فى الأسلوب، بجمال الحياة وروعة الأمل ! . فأزور معهم الهند والسند وأركب الفيل فى بلاد تركب الأفيال ! . وأزور الصين واليابان، وآكل

من تفاح كاليفورنيا ، وأقطن أياما نواطح السحاب بنيو يورك ، وأسمع أغانى جزائر هايتى وأرقص الرومبا مع الزنجيات ، وأرى طلوع الشمس فى نصف الليل ببلاد النرويج ، وأزور مقبرة أبى أيوب فى استانبول ، وأقضى أسبوعا فى نابولى وأسبوعا فى روما وأسبوعا فى فلورنسا وشهرا فى الأندلس لنبكى على دولة أسلاف لنا دالت .

عجبا للناس ! . من ذا الذى لا يشترى كل هذه الأحلام الجميلة ، طوال هذا الشهر ، بورقة مؤاساة ، بستين قرشا ؟ ! ؟

مُنى أن تكن حقا فما أسعد المنى * وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا



مصـــدر السلطات

فى «الأوتوبوس» : مناظر تقصر العمر، يتمنى معها الإنسان لو قصرت حياته أو تبلد إحساســه . كيف نجمع بين ما نراه وبين صفاء النفس ؟ هل من سبيل ؟ أليس هؤلاء الذين من حولنا هم مواطنونا ؟ هم أهل بلدنا ؟

تأخر «الأوتوبوس» كثيرا فكان منتظروه كثيرين . وغصت الدرجة الثانية . فأمر (الكمسارى) بالصعود الى الدرجة الأولى ؛ فصعدت امرأة (بنت بلد) «جزارة» ووراءها زوجها «الجزار» . قال لها : درجة أولى ! فقالت : (وإيه يعنى ، هو المفتخر ؟ !) ونظرت الى الموجودين باستخفاف واستنكار : نوع من «الباشفية» .

أما رجلها فقد صـعد وهو يعتقـد أن الدنيـا لا بدّ أن تنحنى له . وكانت ثيابه مخضبة بالدماء : علامة شريفة للعمل الشريف ، فهو ليس قاتل بنى آدم ولكنه رجل يكسب الخبز بعرق الجبين ؛ ولكن القصاب الأجنبي لا يمكن أن يقف فى دكانه وعلى ملابسه نقطة من الدم . فليست الجزارة هى القـذارة .

فما بال هذا الجزار يترك عمله ويخرج مع امرأته و يركب بين الناس بثياب تفوح منها رائحة الدهن والدم التى تصدع الرءوس؟

فلما أبى (الكمسارى) أن يتركه بالدرجة الأولى أرغت امرأته وأزبدت ، وراحت تحلف بشرف الموجودين جميعا أنهما لن ينزلا . وأن تلك (الجلابية) القذرة هى أشرف من بذلة (الكمسارى والسوّاق) وناظر المحطة . فلما اعتذر (الكمسارى) بأن القانون يحرم ركوب صاحب (جلابية) قذرة كهذه بين ركاب « البريمو » و إلا دفع غرامة خرج صوت الرجل متحشرجا من أثر (الجوزة والخناق) يأبى و يستكبر الاعتراض على وجوده فى أى مكان مادام جالسا (بفلوسه!) . واشترك «الأوتو بوس» كله فى الشجار ، وكان كل واحد يبدى رأيا و يتفاسف ، وأصبحت المركبة أحزابا وشيعا . وانطلق (الكمسارى) يبحث عن (الشاويش) الذى جاء بعد ربع ساعة مثقلا ببندقيتــه ووزنهــا عدّة كيلوجرامات ، ولكن كان الرجل وامرأته قــد نزلا وآثرا مركبة أخرى جاءت وركبا فى الدرجة الثانية . ومسح (الشاويش) على ظهرها قائلا : (معليش) .

لم يكن الوقت له عند هؤلاء الناس قيمة . ولم يكن شعارهم

قبـل (الشاويش) إلا القوة لا (الأصول) . لم يكونوا يعرفون أين يجلسون أو ماذا يلبسون . لم يكونوا يحسبون لمن حولهم حسابا ، ولم يكن على الأرض سواهم . هؤلاء هم مواطنونا الذين نحتك بهم كل يوم ، نشترى منهم ونعاملهم . هؤلاء هم الأغلبية الساحقة ومصدر السلطات . هؤلاء هم الذين رضينا نحن المتعلمين بجهالتهم ولم نعمل على تنويرهم لا قليلا ولا كثيرا . هؤلاء هم الذين نتركهم يعيشون كالحيوانات ونتنغص برؤيتهم حياتنا ولا نفكر فى إنقاذهم . هؤلاء هم الذين قد امتلأت أفواههـم بالوقاحة وامتلأت عقولهم بالجهالة لا يعرفون الألف من الياء فى الوقت الذى تتناحر الأحزاب السياسية على كراسى الحكم . فلا يوجد حزب سياسى واحد له برنامج اجتماعى مثل برنامج حزب الشعب التركى الذى يفتح فى كل البلاد مدارس إجبارية لتعليم العامة وتنوير أذهانهم ورفع مستواهم ليرتفع بهم رأس البلد .

هؤلاء هم الذين نقبل أيديهـم ليعطونا فى الانتخـابات أصواتهم ثم نحتقرهم بعد ذلك وننكرهم ونزدريهم .

الذهب القاتل !

من أخبار حوادث القاهرة أن أحد الحمالين المختصين بحمل الخزانات الحديدية ونقلها — واسمه ابراهيم أبو هنا حسين — كان يحاول نقل خزانة من خزانات فرع « بنك الانجلو » بشارع السكة الجديدة فسقطت عليه الخزانة وقتلته تحتها فى الحال دون أن يتمكن أحد من رفعها عنه قبل وفاته وانقاذه . ولما أبلغت الحادثة الى (بوليس) الجمالية انتقل الى مكانها وعاينه ثم شرع فى التحقيق لمعرفة المسئول .

أما التحقيق لمعرفة المسئول فغريب . واذا كان (البوليس) يريد أن يبدى فى هذه المسائل التافهة (شطارته) فليعرف أن المسئول عن قتله هو أكل العيش .

إننى أعرف حملة الخزائن هؤلاء . كنت كثيرا ما أراهم فى صباى ، عمالقة طوالا سمانا كأنهم من جنس جعل ينقرض ، وحل مكانه أقزام . وكنت كلما كبرت تحسرت على أنه ليست

لدينا فرقة كفرق الألمان الحربية « فرسان الهوسار » الذين اشتهروا فى الحرب العظمى ، وكانت لهم فيها مخاطر وأهوال .

ويالسوء حظ هذا البلد حتى فى عمالقته وجبابرته ! ... وكنت أتساءل صغيرا : ألم يجد هؤلاء شيئا لأكل العيش أرحم لهم وأجدى عليهم من حمل تلك الخزائن الحديدية التى كأنها صخور الأهرام؟! ثم لما تقدمت بى السن عرفت أن الحياة كلها أثقال ، يحملها العقل مرة والقلب مرة والجسم مرة .

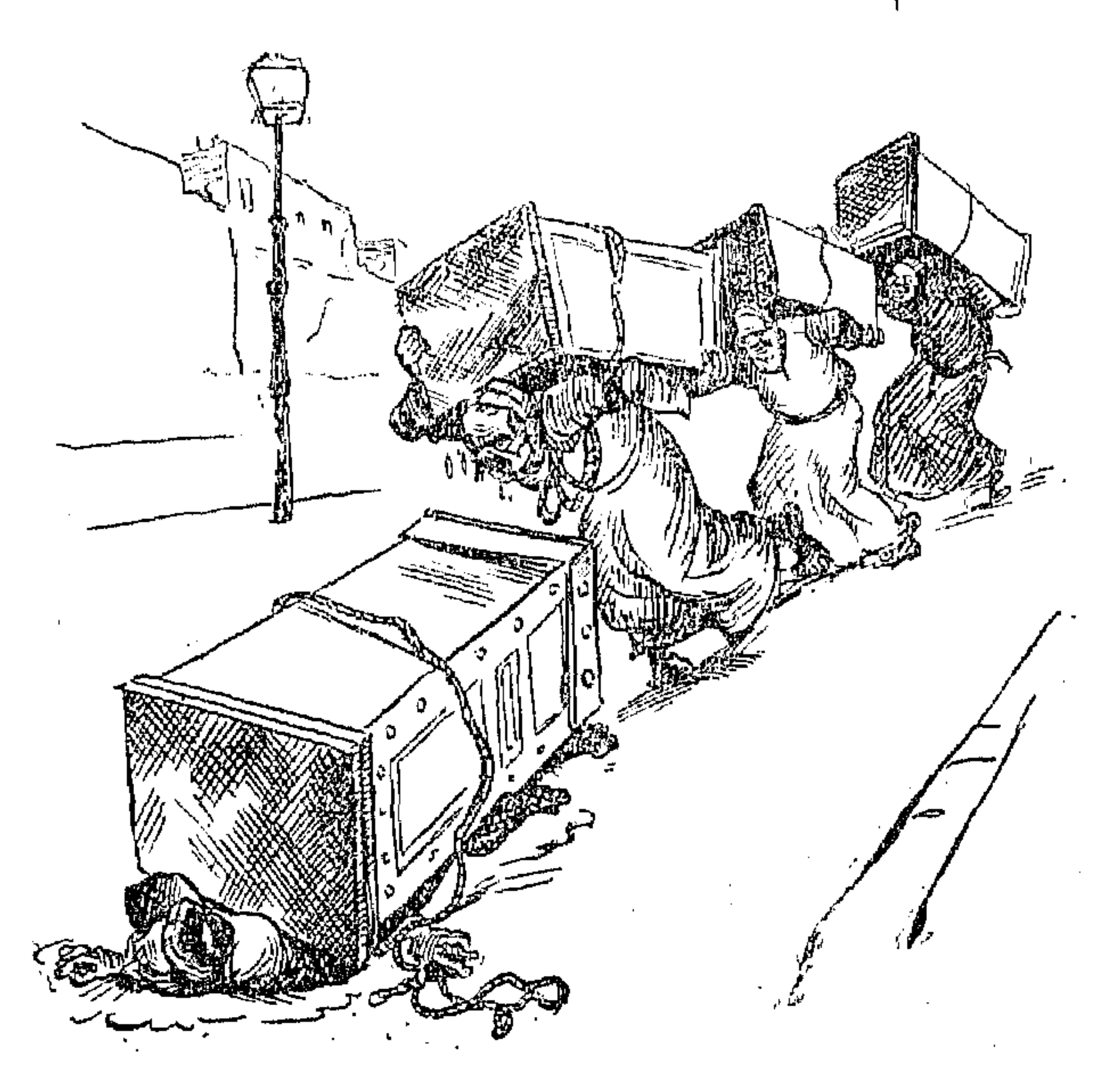
كم من رجل يجلس الى مكتبه وعلى ظهره مثل تلك الخزائن الحديدية ثقلا وهولا !... كم من رجل يسير فى الطريق أو يركب السيارة وعليه أحمال من الديون والهموم أثقل من الخزانة التى قضت على إبراهيم أبو هنا .

ومنذ أقدم الأزمان وصف أبو العلاء المعرى الحياة بأنها تعب كلها . ونحن اذا مارأينا رجلا ينوء تحت عبء من الحديد والنحاس أو الخشب والرصاص عذرناه ورحمناه ، ولكننا اذا جاء وقت الحساب قترنا عليه فى القرش والدانق ! ...

إن المسئول عن موت الفقير هو الفقر . ليت سيدنا عليا رأى الفقر رجلا فقتله كما تمنى وخلص الناس منه ! ... وأما المقتول فقد استراح، وسيجوع أهله من بعده لأن حمل الخزائن الحديدية، مهما ثقل حتى تقتل، لا يدر الذهب والفضة .

ليست لهؤلاء العمال نقابة، فالجوع يقف على باب العامل فى اليوم الذى يمرض فيه، ويدخل بيته فى اليوم الذى يموت فيه .

الله لهم ! ...



رسـالة الفضـيلة

هل يكتب الكاتب لكى يعجب القراء و يفتنهم فيقولون : يا له من كاتب ما جاد الزمان بمثله ؟ !

هل يكتب لكى يرضيهم و يتملقهم و يرثى القتلى تارة ويمجد القتلة تارة أخرى؟ و يعـزّى الجبناء مرة و يهنئ الوقحاء مرة ثانيـة ؟

هل هذه هى وظيفة الكاتب ؟

كلا ! لأنه عندئذ لا يكون كاتبا و إنمـا يكون مهرجا . يكون « بليـاتشو » يصبـغ وجهه بالبودرة ويخرج ليضحك النـاس .

ليس الكاتب هو الذى يكون الألفاظ ويجبرها على الورق كما يلوك البعير طعامه . إنما الكاتب الصادق الأمين ، هو الذى يحيا و يشعر ... و ينظر الى نفع الناس لا الى نفع نفسه . لأنه عند مايكتب لا يشعر بوجوده هو بقدر مايشعر بوجودهم هم ،

يتطلعون اليـه ، ويثقون به ، ويؤملون فيه . عنـدئذ يؤاتيه الفكر بعد الشعور والتأمل .

ومهما كان الجمهور الذى يقرأ لهذا الكاتب منوعا مختلف النزعة والتربية فانه سيشعر بعـد زمن ، إن طوعا وإن كرها ، بشىء من الاطمئنان الى أقواله فيتحرك ويقصـده ، ويتوجه اليه بالشكوى مما يضايقه فى الشؤون العامة والخاصة .

وهذا هو الفوز العظيم .

خطرت لى هذه الكلمات عند مازار « الأهرام » أمس شاب فاضل يدرس الحقوق وينوى الاشتغال بالصحافة عقب تخرجه . فقلت له : إننا بحاجة الى عناصر جديدة كريمة تدخل فى هـذه المهنة لتطرد منهـا الطفيليات والحشرات التى ترتع فى أعراض الناس وتعيش من وراء ذلك بالسحت الحـرام وتفسد كرامة المهنة .

نحن بحاجة الى شباب أقوياء بالفضيلة والاعتزاز بالنفس ، والترفع بل والكبرياء ، لا ينزلون ولو ماتوا جوعا الى الحمأة التى

يمرغ فيها الزعانف الخاملون الذين كل حيلتهم وبضاعتهم القذف والشتائم .

فعلى من يريد احتراف مهنتنا أن يكون من المؤمنين برسالة الفضيلة . يعتبر المسائل العامة مسألته الخاصة التى ينافح عنها ويدافع ، ويعيش من أجلها ولا يتردّد فى ذلك ولو راح فداءها .

دار المرأة

فى يوم من أيام نوفمبر سنة ١٩٢٨ وقفت سيارة زرقاء فخمة فى عطفة الشماشرجى إحدى حوارى شارع محمد على . ونزلت منها أربع سيدات كريمات : زعيمة النهضة النسائية السيدة هدى هانم شعراوى والسيدة عقيلة الدكتور مكلانهن مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة وسائحتان أمريكيتان من صديقات السيدة الأخيرة . وكان فى الحارة رحبة فيها حنفية عمومية يستق منها الفقيرات الماء بالصفائح ... وصعدن السلم المتهدم . وكانت تلك دار الاتحاد النسائى لليتيمات الصغيرات . فكانت نواة تربية وتعليم للواتى حرمن عطف الوالدين أو أن آباءهن لا يملكون كثيرا ولا قليلا . كن تحت رعاية ملك طاهر وأم حنون وسع قلبها كل من يقصدها طالبا رحمة أو مكرمة . فشمل برها ورحمتها الوفا ممن سيظل الناس يجهلون أسماءهم أبد الدهر . ومع ذلك فان الناس لا يرون اليوم من

فضلها وإحسانها إلا أقله ، لا يرون من هذا القلب العظيم إلا قطرة ، ومن هذا النور المستفيض إلا لمحة ...

ليت هاتين السائحتين الأمريكيتين اللتين اغتبطتا يوما ما وفرحتا بأولئك الصغيرات ، فى ذلك البيت المتواضع ، ينسجن الملابس ويحكن السجاد ويتعلمن علوم الدنيا والدين ، ليتهما كانتا معنا أمس ، لتشهدا بما تقطع دونه أعناق الرجال . لتشهدا قصرا جديدا بشارع قصر العينى هو (دار المرأة) الدار التى وقفت السيدة هدى هانم شعراوى لا تتذوق للهناء ولا للراحة طعما قبل أن تراها تقوم وتنهض عن الأرض حجرا حجرا ومترا مترا . فاذا هى فسيحة منيفة . وإذا هى فى عام واحد قد تم لها كل شىء . صبرت وظفرت . وكانت عند عهدها وكان العهد مسؤولا .

ليست ألوف الجنيهات وحدها التى تبرعت بها هى التى نشيد اليوم بذكرها . كلا . إن المال هو آخر أفضالها وإحسانها . إنها قد وهبت حياتها للخير وهذا سر عظمتها . إنها

تعيش كل دقيقة من أيامهـا ولياليها لا تكاد تذكر إلا هؤلاء الصغيرات اللواتى رأيناهن أمس كالزهور وقد تربين فى حماها فهى الراعى الأمين .

ان هذا اليوم هو أسـعد أيام حياتها ونحن نعلم ذلك عن يقين . انهـا كانت تنتظره بفارغ الصبر وكانت تعمل له منـذ سنين . وهذه هى الهمة الشماء والعزيمة المـاضية والصبر الذى امتازت به المرأة منذ الأزل، وكان من أخص صفاتها النبيلة .

أتراها ستستريح الآن ؟ ! والله ما أظن !... انـ هذا الفرح الجديد هو قوة جديدة ستصرفها كلها فى عمل جديد . إنها ستواصل مهمتها غير عابئة فى ذلك السبيل بجهد أو تعب أو مرض . انها كانت لا تستطيع الوقوف على قدميها من وفرة ما بذلته استعدادا لعيد اليتيمات وكانت تتجلد وتقاوم حتى أنهكها المرض ولزمت الفراش زمنا ولا يعرف النـاس من أمر ذلك شيئا . وهذا هو أنفس الاحسان . هذا هو أجمل البر . هذا هو أشرف الجود . هذه هى المروءة ماثلة بكامل معانيها فى أروع أشـكالها .

فانت يا من تسير فى شارع قصر العينى ، إذا ما جاوزت مدرسة الطب وجدت بجوارها الى يمينك (دار المرأة) ... فاحن الرأس إجلالا ، لأن هنا هدى ورحمة ، هنا صفحة فى التاريخ بيضاء ...



أيتها الراقصة !

قامت فى تلك الأيام مسابقة للرقص فى « جروبى » ، كانت هى المسابقة النهائية بعد طول التجنى والدلال من المحلفين ، وبعد التلويح للصبيان والبنات بالجائزة الأولى والجائزة الثانية والجائزة ... والجائزة ... وقد طلب الىّ صديق عزيز أن أحضر تلك المسابقة لأرى بعض فتياتنا المصريات ؛ فقلت له إن الحياة لا تنقصها هموم ، إن هؤلاء الفتيات لا يرتكبن وزرا ولكنهن يقفن موقفا لا يشرفهن . ربما زعمن أن فى تلك الحلبة الراقصة يجدن العريس ، وهنّ اذا وجدنه فعلا فلن يكون إلا عريسا هازلا لا وزن له .

إن الرجل العاقل لا يختار زوجته من بين الراقصات . وهؤلاء الفتيات اللواتى يشتركن فى تلك المسابقات ينزلن الى مستوى مختلط ، أكثره مبتذل ، من العاملات والطائشات

والمغامرات . فالفتاة التي تدخل في هذه الزمرة الغريبة يجرى عليها الحكم العام، وهو ليس من صالحها في شيء .

لقد خفّت سورة الرقص في أوربا خفة مشاهدة ، وخفَّ ذلك السعار الذي انتابها «بالجازبند والشارلستون» بعد الحرب، وانصرفت الفتاة الآن عن ذلك الى ماهو أولى بذكائها وأحفظ لكرامتها . فالفتاة المصرية، سواء أكانت مصرية صميمة أم مصرية مختلطة، يجب أن تدرك أن مسابقات الرقص ليست بالمضمار الذي لها أن تفخر فيه أو تزهو به، أو تتسابق حتى يتصبب عرقها وتنهد قواها . فلتتنازل عن تصفيق شبان أيفاع من الذين يحلقون حواجبهم ويرسمونها كما لو كانت مخطوطة بعود الكبريت ، أولئك الذين يسيرون عراة الرءوس ليست لهم حرفة، ولو تخلى عنهم آباؤهم وأمهاتهم لماتوا جوعا . فلتتنازل عن تصفيق أنواع «الجيجولو» وهم أشدّ خساسة من المرأة التي تبيع عرضها لتأكل خبزها ، ولتعلم إذاً أن الفوز بجائزة في مرقص شائع هو أدعى الى الخجل والاستحياء منه الى الغرور والمباهاة .

إن هؤلاء الأوربيين لم يرقصوا إلا بعد ما عملوا وسهروا ودرسوا وألفوا وصنعوا وابتكروا واخترعوا وملئوا الدنيا فكرا ونورا . أما نحن فما زلنا فى أول الطريق كالطفل يحبو الى العلم والمعرفة والتحرر من العبوديات التى نرزح تحتها ، فاذا جاءت فتاتنا الجديدة تهز خصرها فى مسابقة عامة يشهدها كل من هب ودب بخمسة قروش ، فهو دليل على أن ميزانها مختل ، وأنها تأتى البيوت من غير أبوابها ، وأنها تعرض بسمعتها وحرمة بلادها للضياع ، وأنها طائشة مغامرة خارجة على المجتمع المصرى الذى يعمل العقلاء على النهوض به ، ولن يكون نهوضه إلا بالفتاة العاقلة الرشيدة التى تعرف الغى من الرشد ، الفتاة التى قبلت حتى الآن القيود والأغلال فى كبرياء وشهامة وأبت أن تكسر تلك القيود والأغلال أول ما تكسرها فى حلبات الرقص ! ...

كَمُلَ طبع ثلاثة آلاف وثلثمائة نسخة من كتاب
« ما قل ودل » بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الأحد أوّل يوليه سنة ١٩٣٤
(١٩ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٣)

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨/١٩٣٤/٣٠٠